الفصل الثانى

تربية الطفل فى الفلسفة الواقعية

Realism Philosophy

تعرف الفلسفة الواقعية بأنها تطبيق ما أشارت إليه وجهة النظر التى تحتوى على التربية وعلاقتها بالأحداث الجارية فى الحياة، حيث أن الإنسانيين كأفراد وأشخاص وجهوا جهودهم نحو تحصيل الأدب والأخلاق، والمصلحون كاجتماعيين وسياسيين يعملون نحو تحقيق الأغراض الدينية والأخلاقية.

أما بالنسبة للمفهوم الأساسى للواقعية: لقد حدد بعض الباحثين المفهوم الأساسى للواقعية على النحو التالى:

أ - **الواقعية وطبيعة الواقع:**

- تعد الفلسفة الواقعية فلسفة بعيدة عن العالم المثالى وتتعلق بدراسة العالم الذى تعيش فيه.
- الفلسفة الواقعية تعتقد أن كل المعارف مشتقة من الخبرة.
- الواقعيون يعتقدون أن العالم الحقيقى هو عالم الطبيعة.

ب- **قوانين الطبيعة الواقعية:**

يعتقد الواقعيون أن العالم المادى من فعل قوانين الطبيعة.

جـ - **الواقعية والعلم:**

تحاول الواقعية أن تكشف الحقيقة بمساعدة الطرق العلمية، وأن كشف الحقيقة يساعد على ضبط البيئة.

ويرى بعض المربين أن الفلسفة الواقعية سميت بهذا الاسم، لأن فيها اعترافاً بواقع الأشياء والحوادث، وبأنها موجودة فى الخارج والواقع، ومستقلة فى وجودها عن الشخص الذى يعرفها.

ومن هذا المنطلق يمكن القول أن الفلسفة الواقعية تطلق على: الأفكار التى توجد فى العالم المادى أو عالم الماديات، وفى تصورات الفرد وخبراته عن تلك الماديات، وتعد الأساس لفهم ما هو واقعى وحقيقى.

أشكال الفلسفة الواقعية:

حدد بعض المربين أشكال الفلسفة الواقعية وذلك على النحو التالى:

أ - الواقعية الكلاسيكية: ويمثل هذا الاتجاه فيفز، رابليه، ميلتون.

ب- الواقعيـــة الحســـية: ويمثل هذا الاتجاه فرانسيس بيكون، جون لوك، جون ستيوارت مل، راتكة، كومنيوس.

والبعض الآخر حدد أشكال الفلسفة الواقعية فى:

- الواقعية التقليدية (الواقعية الأرسطية):ويمثلها أرسطو (٣٨٤-٣٢٢) قبل الميلاد.
- الواقعية الدينية ويمثلها توماس أكوينى *Thomas Aquines* (١٢٢٥-١٢٧٤).
- الواقعية الحديثة: ويمثلها فرانسيس بيكون *Francis Bacon* (١٥٦١-١٦٢٦)، وجون لوك *Jhon Locke* (١٦٣٢-١٧٠٤).
- الواقعية المعاصرة: ويمثلها الفريد نورث هوايتهيد *Alfred North Whitehead* (١٨٦١-١٩٤٧)، براتراند رسل *Bertrand Russell* (١٩٧٢-١٩٧٠).

ويرى البعض أن الواقعية تنقسم إلى النوعين التاليين:

أ - الواقعية العقلية *Rational Realism*: وهى التى ترى أن العالم المادى حقيقى وله وجود خارج عقول الملاحظين له ويتزعم هذا الاتجاه أرسطو.

ب- الواقعية العلمية *Scientific Realism*: وهى التى ترى أن الفلسفة يجب أن تقلد وتنتهج نهج الموضوعية العلمية، ولما كان العالم المحيط بناء حقيقى، فإنه من مهمة العلم وليس الفلسفة البحث فى صفاته، ومن زعماء هذه الحركة بيكون، لوك، هيوم.

والبعض الآخر كانت له وجهة نظره فى تصنيف الفلسفة الواقعية حيث وضح كل نوع منها، والمبادئ التى يقوم عليها، ويمكن تلخيصها وذلك على النحو التالى:

أ- الفلسفة الواقعية الطبيعية:

وقد اعتنق هذه الفلسفة بعض التقليديين مثل سبنسر، توماس أكوينى، هكسلى اعتقاداً منهم أنها تبنى الأساس المتين للفلسفة التربوية التى يعتنقونها ووقوفاً فى وجه الذين يخرجون بالمناهج الدراسية عن واقع الحياة.

وتقوم هذه الفلسفة على الأفكار الآتية:

١- تعد الظواهر الطبيعية أهم مادة للدراسة، أما الدراسات الأدبية واللغوية وغيرها من المجردات فقيمتها ضئيلة إذا قيست بالعلوم الطبيعية.

٢- ينبغى الاهتمام بالمنهج من حيث اتصاله بالمجتمع الخارجى.

٣- يدعو علماء الاجتماع من مشايعى الفلسفة الواقعية الطبيعية إلى دراسة الإنسان على الطبيعة دراسة مباشرة وذلك عن طريق التجوال حول العالم والاتصال به فى كل مكان.

٤- ينبغى أن ندرس العلوم فى ضوء النظريات العلمية التى تشكل الأذهان فى الوقت الحاضر.

٥- يجب أن تلبى التربية حاجات المجتمع المهنية ولكن بلا تجريب وعلى أساس من محض الدراسة النظرية.

٦- الدراسة واختيار الأهداف يجب أن يحكمها الحاضر والبيئة التى يعيش فيها المتعلم.

٧- تتأكد التربية الخلقية والدينية على الأساس الطبيعى.

٨- تؤكد الفلسفة الواقعية الطبيعية القياس العلمى، لأن نظرية التطابق التى يقول بها الواقعيون، والتى تحدث عنها قبل ذلك تتطلب مستوى رفيعاً من دقة القياس وذلك يقتضى تكرار قياس كيفيات السلوك .

ب- الفلسفات الإنسانية:

والتى وضعها « أرسطو» على أساس عقلى، ثم جاء بعده « توماس أكوينى » فعدل من الأسس التى وضعها « أرسطو» ومن هنا فإن المحدثين من اتباع تلك الفلسفة انقسموا إلى قسمين وهما:

أولاً: الفلسفة الإنسانية العقلية:

وهى التى يرى مؤيدوها أن المحافظة على هذا الاتجاه يقوم على دراسة « أرسطو» وحده، وأهم الأفكار التى تقوم عليها هذه الفلسفة هى:

١- أنها تهدف إلى تغذية العقل وتدريبه على الفهم دون تفاوت بين الناس ودون اعتبار للزمان والمكان.

٢- تعنى بالفروق الفردية بين الأشخاص، وإن كانت هذه العناية ثانوية بالنسبة للعناية بالناحية العقلية.

٣- تحتم قيام المنهج الدراسى على الأساسيات وهى الفنون الحرة والعلوم الإنسانية.

٤- لا ترى إطلاق الحرية للتلاميذ فى اختيار المواد الدراسية وإن كانت تهدف بدراسة الأساسيات إلى تحرير العقول من الأخطاء.

ثانياً: الفلسفة الواقعية العلمية:

وهى التى يرى مؤيدوها أنه يجب المحافظة على الفلسفة الإنسانية العقلية، ويتضح ذلك من دراسة كل من « توماس أكوينى » و « أرسطو»، أهم الأفكار التى تقوم عليها هذه الفلسفة هى:

١- أنها تقوم على الثنائية بين الطبيعة والقوة الخارقة للطبيعة وهى الآلة وعلى الثنائية بين العقل والجسم بشرط التفاعل بينهما، وعدم الاعتماد على بحوث السلوكيين من علماء النفس.

٢- أن الهدف التربوى الذى يتمثل فى الوصول إلى الحقيقة ثابت لا يتغير، ومن ثم فالمنهج الدراسى يجب أن يقوم على الأساسيات العلمية والثقافية المتصلة بالتقاليد، وأن يفرض على التلاميذ فلا ينظر إلى اهتماماتهم ورغباتهم إلا إذا اتصلت بهذا المنهج الذى ينبغى أن يدرس، أما إذا تعارضت اهتماماتهم ورغباتهم مع حقائق المنهج فليضرب برغباتهم عرض الحائط وليجبروا على دراسة المنهج.

٣- إن وظيفة المدرس هى أن ينقل إلى التلاميذ بإصرار وجبر ما يراه صحيحاً وتعترف الأغلبية بأنه حقائق صائبة.

٤- إن الاهتمام بالفروق الفردية بين التلاميذ له مكانة ملحوظة فى التربية غير أن ذلك لا يسمو سمو الاهتمام بإيصال التلميذ إلى الحقيقة.

٥- إن دراسة الأخلاق والدين يجب أن تكون دراسة رسمية متصلة حتى تؤتى خير الثمرات.

٦- ينبغى أن يوضع المنهج قبل ابتداء الدراسة والتعليم إذ لا داعى للتأخير، فمضمونه ثابت ومعروف، والهدف الذى يرمى إليه لا يتغير.

كما حدد البعض مظاهر وأشكال الواقعية على النحو التالى:

١- الواقعية الإنسانية (اللفظية) :

من رواد هذه الفلسفة:

- فيفز *Juan Luis Vives* (١٥٤٠-١٤٦٢)
- رابليس *Francis Rabelais* (١٥٥٤-١٤٨٣)

- ميلتون *Jhon Milton* (١٦٠٨-١٦٧٤)

١- أهداف الواقعية الإنسانية:

تهدف الواقعية الإنسانية إلى المعرفة الكاملة، وفهم المجتمع الإنسانى والدوافع الإنسانية والطبيعية،والمواقف والعلاقة بين كل من العالم الإنسانى والعالم الطبيعى مع فهمها، وإعداد الفرد للبيئة التى يجب أن يعيش فيها.

وقد أكد « فيفز» *Vives* على أن التربية تعمل على تطوير الشخصية، والقيم والفضائل الدينية، وأهمية العمل، حيث إن كل شئ يجب أن يحاط بالدين والأخلاق والعمل.

أما « رابليه » *Rabelais* فله رؤيته الخاصة عن أهداف التربية فهو يرى أن هدف التربية هو تكوين الإنسان الكامل ومهاراته فى الفن والصناعة (بقصد تكوين الإنسان)، تطوير وتنمية كل جوانبه الجسمية والخلقية والعقلية.

أما « ميلتون » *Milton* فقد أعلن عن اعتقاده بأن التربية إعداد الحياة الواقعية، ويتضح ذلك عندما كتب، أدعو إلى التربية الكاملة والكريمة التى تعد الإنسان الذى يلعب دوراً واضحاً وبمهارة وبسخاء وكرم فى كل المرافق العامة والخاصة والحرب والسلام.

فكل الواقعيين الإنسانيين تصوروا أن التربية عبارة عن دراسة الكلمات والألفاظ لفهم الأشياء، أما قراءة الكتب وجدت خارجاً حول العالم الذى نعيش فيه.

٢- الواقعية الإجتماعية

هناك علاقة بين الواقعيين الاجتماعيين والواقعيين الإنسانيين فى هجومهم على التعليم القديم الكلاسيكى، ومن رواد هذه الفلسفة « ميشيل دى مونتينى » *Michl De Montaigne* (١٥٣٣-١٥٩٢م).

- أهدافها:

هدف الواقعية الاجتماعية لم يكن إنتاج الرجل العالم أو المهنى، ولكن إعداد الشباب الأرستقراطى لحياة الرجل المهذب فى شئون الحياة. لهذا قال « مونتينى » (أن التربية تعتبر فن الرجال وليس المتخصصين).

فهدف التربية عنده يعنى النفعية العملية مثل السفسطائى الإغريقى، فهو كرس جهده على التربية الفردية التى سوف تعد الشباب للكفاية الفردية والنجاح فى الحياة الاجتماعية فى يومه.

إذا الهدف التربوى عند الواقعيين الاجتماعيين هو: التكيف الاجتماعى وإعداد الفرد للحياة الفعالة والسارة مع الأفراد الآخرين.

٣- الواقعية العلمية:

والتى تعتبر أن الواقع موجود فى قوة وقوانين الطبيعة.

- ومن روادها:

- ريتشارد مولكاستر *Richard Mulcaster* (١٥٣١-١٦١١م)
- فرنسيس بيكون *Francis Bacon* (١٥٦١-١٦٢٦م)
- وولفانج راتك *Wolfgang Ratke* (١٥٧١-١٦٣٥م)
- جون آموس كومنيوس *Jhon Amos Comenius* (١٥٩٢-١٩٧٠م)

- أهدافها:

الهدف النهائى للواقعية العلمية (الحسبة) تنمية الطبيعة الفردية والطبيعة المجتمعية بالعمل طبقاً للتطور العلمى.

فالظروف والأحوال والقوانين الطبيعية تعد حقيقة واقعية فقط، وهى أهداف التربية. لهذا قال « مولكاستر» *Mulcaster* أن التربية ليست محاولة لضبط الميول الطبيعية والأنشطة للطفولة،ولهذا فهدف التربية والتدريب تكون مساعدة الطبيعة لكمالها.

ولقد اعتقد « بيكون » *Bacon* أن الهدف النهائى للتربية، هو جعل الإنسان يسيطر على الأشياء لتزداد القوة البشرية من خلال الانتفاع بالمعرفة العلمية.

فمعرفـة البيئـة الطبيعيـة ومظاهرهـا وعملياتهـا كـان للانتفـاع بالأسـس الجديـدة للحياة العملية والمفيدة.

فـالغرض الرئيسـى للتربيـة كـان تعلـيم قوانينهـا وضـبط الطبيعـة لفائـدة الإنسان.

أمـا « كومنيـوس » *Comenius* فهـدف التربيـة النهـائى عنـده، كـان السعادة الداخليـة مـع الله، ولهـذا فـإن التربيـة سـوف تهـدف إلى تـدريس كـل الأشـياء لكـل الناس.

فـالواقعيون العلميـون يهـدفون إلى كشـف وتقـديم المعرفـة الجديـدة بـدلاً مـن مجرد التعليم من الكتب، فهم يبحثون هنا فى واقـع الطبيعـة، ولهذا فهم لا يبحثـون فى المعلومات عن الطبيعة من أجل خاطر المعرفة كنهاية فى حد ذاتها.

كما أنهم لم يحـددوا هدفهم للبحـث عن قـوانين الطبيعـة فـى العـالم الخـارجى حيث أنهم اعتقدوا أن عملية النمو الداخلى للعقل تكون جزءاً من قوانين الطبيعة.

إن الهـدف المباشر عنـد « راتـك » و« كومنيـوس » كـان كشـف قـوانين الطبيعـة التى تحكم عملية التعليم، فهما يهـدفان إلى أن النظـام التربـوى سيكون طبقـاً لأمـر الطبيعة التى يتبعها عقل الطفل فى التعلم.

أما الهدف المباشر عند « بيكون » كان تنمية الطريقة العلمية لكشف وتنظيم المعرفة العلمية.

وبعد أن تم عرض أشكال ومظاهر الفلسفة الواقعية، فإنه سيتم تنـاول روّاد هذه الفلسفة.

روّاد الفلسفة الواقعية:

يتضـح مـن العـرض السـابق لأشـكال الفلسـفة الواقعيـة أن هنـاك العديـد مـن الروّاد لهذه الفلسفة، ولكن سوف يقتصر فى دراسة هذه الفلسفة على آراء كل من

« أرسطو» باعتباره المؤسس الأول للفلسفة الواقعية و « كومنيوس » باعتباره ممثلاً للواقعية الحسية، و « جون لوك » باعتباره ممثلاً للواقعية الحديثة. وقبل تناول آراء هؤلاء الرواد لابد من إلقاء الضوء عن حياة كل منهم بإيجاز. وذلك على النحو التالى:

١- أرسطو:

يشير بعض الكتاب إلى أن « أرسطو » ولد بمدينة « استاجيرا » عام ٣٨٤ ق.م، ولذلك لم يكن أثينيا كسقراط وأفلاطون، ولكنه جاء إلى أثينا عندما بلغ الثانية عشرة من عمره، حيث أوفده أبوه إلى أثينا ليتم تعليمه الذى بدأه فى مقدونيا، فدخل الأكاديمية ليتلقى العلم على يد « أفلاطون » وظل عضواً فى الأكاديمية حتى وفاة أفلاطون فى ٣٤٨ ق.م.

وبذلك يكون قضى مع أستاذه « أفلاطون » حوالى عشرين عاماً، غادر أثينا بعد وفاة « أفلاطون »، ثم عاد إليها فى عام ٣٤٣ ق.م ليكون معلماً للإسكندر الأكبر لمدة ثلاث سنوات، وبعد ارتقاء الإسكندر الأكبر العرش استقر « أرسطو » فى أثينا وأنشأ مدرسة جديدة هى مدرسة اللوقيوم تحت رعاية الإسكندر.

يعد أرسطو أول من أسس الفلسفة الواقعية، وقد أطلق عليه المؤرخون أبو الواقعية، ورغم أنه تلميذ « أفلاطون »، إلا أنه عكس أستاذه، وجد الحقيقة فى عالم الأشياء الفيزيقية، أى عالم الواقع، حيث قال: أن كل ما هو موجود فى العالم الفيزيقى (هواء، رجال، حيوان، ماء، نبات) مكون من مادة، وأن هذه المادة تأخذ أشكالاً مختلفة، وقال إن المادة هى أساس كل شئ يمكن مشاهدتها باتخاذها لشكل معين، والمادة تزداد فى التعقيد كلما ازداد تعقد الشكل الذى يتخذه من عشب إلى إنسان إلى أن تصل إلى أكثرها تعقيداً، وهو الشكل الخالص وهو أول سبب، بل هو المحرك الأول.

اهتم « أرسطو » بكل الميادين المعرفية، الفلسفة، التربية، الطب، علم الحيوان، علم الفلك، تناول فى أبحاثه ودراساته الشيخوخة والموت، والذاكرة، واليقظة، والنوم، والتنبؤ بالأحلام، والإحساس، والمحسوس.

ويذكر المربون أنه جعل من الإحساس مصدراً للمعرفة على غرار أستاذه « أفلاطون »، ولكن عارضه على الصعيد الفلسفى، ولم يقل بواقع مفارق للمثل، ولا بعالم معقول يهيمن على الواقع العيانى المحسوس أو بحكمه، لا يوجد عند « أرسطو » إلا هذا الواقع المحسوس.

ولهذا يرى البعض أنه كان لفلسفة « أرسطو » أعمق الأثر إلى جانب فلسفة « أفلاطون » فى الفكر القديم، وفى القرون الوسطى وبقيت آراؤه العلمية رائجة إلى حين بزوغ العلم الحديث، وكان « أرسطو » ذا نزعة علمية وتنظيم فكرى للأمور المحسوسة.

ولهذا فهو يطلق عليه زعيم الواقعية العقلية، كما أسس مدرسة نشر عن طريقها آراؤه وفلسفته ولقب بالمعلم الأول.

أما أهم مؤلفاته، يُعد « أرسطو » أول من وضع مؤلف فى المنطق الصورى عرف تحت اسم « الأورجانون » ومن مؤلفاته كتاب « الخطابة »، كتاب « الشعر »، كتاب « السياسة »، كتاب « الميكانيك »، كتاب فى « السماء »، كتاب « الميتافيزيقا ».

٢- كومنيوس:

اسمه بالكامل « جون آموس كومنيوس »، أما اسمه التلاتى اللاتينى فهو « ليان آموس كومنسكى »، عالم تربية تشيكى، ولد فى نفتيش قرب أوهوسكى برود فى مورافيا الجنوبية عام ١٥٩٢م وتوفى فى أمستردام عام ١٦٧٠م.

يعتبر « كومنيوس » واحداً من أعظم ممثلى الواقعية الحسية، فقد امتاز بفكر خصب، وخيال واسع، وكافح فى سبيل الحرية الدينية والسياسية فى بلاده.

وقد قام بوضع مبادئ المذهب الواقعى الحسى، والتى تقوم على ما يلى:

- اكتشاف الحقيقة فى قوى وقوانين الطبيعة لزيادة قدرات الإنسان عن طريق إثراء معرفته العلمية وبناء نظام اجتماعى جديد من خلال تدريس الحقائق جميعها.
- الاهتمام بالتربية العلمية العملية عن طريق التدريب العلمى العملى، والتعليم الحر والدينى والخلقى والعقلى وتعلم الأساليب الديمقراطية.
- الاهتمام بدراسة الظواهر الطبيعية عن طريق منهج الباناسوفيا (الشامل لكل المعرفة) واللغة كأداة للتعرف على العلوم والفنون الصناعية ونشاطات الألعاب والأبحاث العلمية.
- التركيز على الاهتمام بالمدارس كوسائل للتربية كالمدرسة الابتدائية، المدرسة الثانوية، الجامعات، مراكز الأبحاث.
- السلم التعليمى منظم بإحكام، فهناك مدرسة هى ركبة الأم والمدرسة الأولية والمدرسة اللاتينية، ثم الجامعة، ثم معهد الدراسات العليا.
- الاهتمام بتعرف قوانين الطبيعة التى تقوم عليها المعرفة والاهتمام بتدريب الحواس، والملاحظة واستخدام العمل كوسيلة للتعليم، واستخدام التعليم الفردى وإثارة الاهتمام وضبط النظام بين التلاميذ.

ومن الملاحظ أن « كومنيوس » عاش حياة شهد فيها ألواناً من القسوة والاضطهاد، إلا أنه لم يدع المرارة تسرى إلى قلبه، بل رأى نفسه مواطناً عالمياً، كما يعرف أنه أكثر المتأثرين بآراء « بيكون » بل أكثرهم تطبيقاً لها.

عرض أفكاره الفلسفية والتربوية فى كتابه الذى ترجم إلى الفرنسية تحت عنوان « فن التعليم الكبير »، ويدعو فى كتابه هذا إلى تعميم التعليم المجانى الإلزامى لكل الأطفال، بدءاً بأصغرهم سناً على اختلاف أوضاعهم الاجتماعية، كما يشدد على أهمية اللعب والطبيعيات ودراسة البيئة بالنسبة للصغار، كما اقترح « كومنيوس » طريقة حدسية فى كتابه « الباب المفتوح على الألسنة »، وقد ترجم إلى

الفرنسية تحت عنوان «الباب الذهبى»، كما يطالب «كومنيوس» أن يستعمل الأطفال الأشياء، وأن يزوروا المشاغل وأن يحتكوا بالطبيعة. وألا يتعلموا شيئاً لا يفيدهم.

كما دعا إلى ربط التربية بالحياة اليومية، وشدد على الاتصال المباشر مع الأشياء فى البيئة.

وقد ألف كثيراً من الكتب المدرسية، من أهمها الكتاب المسمى «الباب الموصل للمعرفة»، ويمكن اعتبار هذا الكتاب دائرة معارف صغيرة، وكتاب «عالم الصور»، وهو خاص بتعليم الأطفال.

وقد كتب «كومنيوس» فى هذه الأثناء، العديد من المقالات الخاصة بقواعد السلوك، فقد اهتم فى مقالاته بسلوك الطفل على المائدة،وكذلك عن سلوكه فى اللعب، وعن الاستيقاظ صباحاً وقبل الذهاب إلى السرير فى المساء.

ومن هنا يتضح أن «كومنيوس» من فلاسفة الواقعية الذين لهم اهتمام واضح بتربية الطفولة.

فقد أظهر «كومنيوس» أهمية السنوات الأولى من حياة الطفل، وكان لآرائه التربوية أكبر الأثر فى البدء بافتتاح مدارس الأطفال فى عصره بعد أن وضح أهمية الطفولة والعناية بها، ومن أهم آرائه فى هذا الشأن:

- ضرورة أن يتم توجيه الطفل منذ الصغر نحو الأشياء التى تحيط به ليكتشف من ذلك الخبرة والمعرفة عن طريق إدراكاته الحسية.
- تأكيد أهمية اللعب والنشاط والحركة لنمو عقل الطفل وجسمه.
- تأكيد وحدة المعرفة وتكاملها، فيما أشار إليه من ضرورة اكتساب الطفل فى سنوات حياته الأولى بعض المعانى الأولية المشتركة بين جميع العلوم التى سوف يدرسها بعد ذلك فى المدرسة.

- أهمية تعليم الطفل المفاهيم الأساسية، الظواهر الطبيعية (الماء، الهواء، الضوء، الشمس، القمر).
- فى مجال الرياضيات أشار إلى تعليمه مفهوم الزمن مع تطور نموه ليدرك معنى (الساعة، اليوم، الأسبوع، السنة، الصيف، الشتاء، الربيع).
- إن الحصول على المعرفة تبدأ بالإدراك الحسى للأشياء المتعلقة بالعالم الطبيعى، وأن كل ما يعرفه ويتعلمه الطفل يجب أن يشير إلى طبيعته الحقيقية الأصلية.

أى أنه فضل استخدام الأشياء على طبيعتها أو صورها أو مجسماتها بدلاً من الكلمات والرموز.

٣- لـــــوك :

ولد « جون لوك » فى ٢٩ من أغسطس عام ١٦٣٢م فى كونتيه سمرسيت (جنوب غرب إنجلترا) وكان والده محامياً، وكان من أنصار البرلمان، أما والدته فكانت ابنة دباغ محلى هو « أدموند كين » وتكبر زوجها بعشر سنوات، وقد ولدته فى سن الخامسة والثلاثين وهو يكبر أولادها الثلاثة، وكان أبوه قاسياً متشدداً فى تربيته، شب فى بيت محب للكتب، ولم يرسل إلى المدرسة إلا فى سن الخامسة عشرة.

وهكذا يتضح أن « لوك » تلقى تعليمه فى البيت تحت إشراف والده، حتى أرسله إلى المدرسة فى سن الخامسة عشرة، ثم التحق بكنيسة « المسيح » فى أكسفورد حيث أجرى تجارب فى الكيمياء، وقرأ للفيلسوف « ديكارت »، درس الطب ولكنه لم يعمل طبيباً، عمل مع بعض السياسيين، ذوى النفوذ، واضطر إلى الالتجاء إلى هولندا وبقى بها ست سنوات.

ويرى بعض المربين أن « لوك » هو المؤسس الحقيقى للتيار الفلسفى التجريبى والحسى الذى ازدهر فى القرن التاسع عشر فى أوربا مع « هيوم »، « أ. بـ

كوند بلاك»، ويدين لوك فى كتابه حول التربية. النظام التقليدى الذى يرتكز على دراسة الكلمات دون المواضيع والذى لا يؤدى إلى كثرة الكلام وإلى إفقار الفكر. ويطالب بمعاملة الطفل كشخص عاقل وتشكيل آثاره التربوية دفاعاً عن التعليم الذى يرتكز على الملاحظة والاكتشاف الشخصى، وعن التربية البدنية الحقيقية.

وقد تطورت الواقعية على يد «جون لوك» الذى كان يعتقد أن الإنسان يولد بدون أفكار سابقة، وأن عقله صفحة بيضاء، تخط عليه التجربة كل ما تصل إليه من معرفة، لأن كل المعارف موجودة فى العالم الفيزيقى (الطبيعى) ويصل إليها الإنسان عن طريق اتباع الأسلوب العلمى والمشاهدات المنطقية.

درس «لوك» اللغات القديمة أى اللاتينية واليونانية، وأقبل على دراسة العبرانية، وكان يفضل التربية الفردية المنزلية، والسبب فى ذلك عدم رضاه عن بعض جوانب الحياة المدرسية، مثل نظام الدروس الشديد، العقوبات الجسدية الصارمة من جهة، والحرية المفرطة المتروكة للتلاميذ خارج ساعات الدراسة الصارمة من جهة أخرى، درس العلوم الإنسانية، علوم البلاغة والمنطق، والأخلاق وعلم الهندسة،نال شهادة البكالوريوس عام ١٦٥٦م ثم تابع دراسته حتى شهادة الماجستير التى نالها بعد سنتين من ذلك، أى فى عام ١٦٥٨م، درس الرياضيات، الفلك، التاريخ، اللغة العبرانية، العربية، الفلسفة الطبيعية، علم النبات، الكيمياء، الطب، واشتغل فى وظيفة طبيب ومؤدباً لبعض الأسر، وتوفى فى أكتوبر ١٧٠٤م.

ومن أهم كتبه ومؤلفاته ما يلى:

- مقالة فى العقل البشرى.
- مقالتان فى الحكومة المدنية.
- مسلك التفكير أو الفهم.
- ثلاث رسائل وجزء من رسالة فى التسامح.

- بعض أفكار فى التربية
- وله بعض الرسائل التربوية الأخرى التى من بينها (بعض أفكاره فى قراءة ودراسة الرجل المهذب)، و(إرشادات وتوجيهات فى تربية وقيادة الشباب المهذب)، (مدارس العمال).

يتضح من ذلك أن «جون لوك» تعرض لكثير من العوامل والظروف التى أثرت على فكره وآراءه سواء كانت هذه الظروف سياسية أم اجتماعية أم دينية، لذا سيتم إلقاء الضوء على هذه العوامل.

أهم العوامل المؤثرة على فكر «لوك»:

يشير بعض المربين إلى أن هناك مجموعة من العوامل التى أثرت على فكـر «جون لوك»، ويمكن إيجازها على النحو التالى:

١- انتمائه للعقيدة البيوريتانية أو مذهب التطهير الذى ظهر وقويت شوكته فى القرن السابع عشر، وهو مذهب دينى سياسى اجتماعى، ومن مبادئه الدعوة إلى العدالة والمساواة.

٢- صحبته الطويلة للورد أشلى، وكان هذا اللورد عالماً أخلاقياً.

٣- معايشته للخلافات الدينية والاضطرابات السياسية التى قضى فى ظلها جل حياته، وما كان يصحب تلك الخلافات والاضطرابات من قسوة وتشريد وحروب.

٤- تأثره بأقطاب النهضة العلمية التى كانت سائدة فى عصره، ومن بينهم «جاليلو وبويل»، «نيوتن»، كما تأثر بالمنهج العلمى الذى دعا إليه «بيكون».

٥- أفكار الفلاسفة والعلماء والمربين من مختلف العصور والقرون وكانت قراءة «لوك» وسعة اطلاعه مكنتاه من الاتصال بمعظم ما كتبه الفلاسفة والمفكرين، ومن الفلاسفة الذين تأثر بفكرهم وآرائهم «أرسطو»، «أبيقور»، «ديكارت».

٦- الوسط الأرستقراطى الذى عاش فيه، والتقاليد الطبقية المحافظة التى كان يخضع لها المجتمع الإنجليزى فى عصره.

٧- خبرتـه الشخصية كتلميـذ فـى المدارس الإنجليزيـة بمراحلـها المختلفـة، ثـم كمدرس فى الجامعة، وكمدرس خاص لأبناء الطبقة الأرستقراطية.

وبعد عرض أهم آراء بعض رواد الفلسفة الواقعية، فإنه سيتم عرض الأسس التى تقوم عليها هذه الفلسفة، وأهم ملامحها التربوية.

الأسس التى تقوم عليها الفلسفة الواقعية:

يرى «جون وايلد» *Jhon Wild* أن الفلسفة الواقعية تقوم على الأسس التالية:

- هناك عالم واقعى موجود ليس للإنسان دور فى بنائه أو صنعه.
- هذا الوجود الواقعى الحقيقى من الممكن معرفته بواسطة العقل الإنسانى.
- مثل هذه المعرفة هى المرشد للسلوك الإنسانى سواء منه الفردى أو الاجتماعى.

ويرى البعض أن هناك مجموعة من الأسس التى تقوم عليها هذه الفلســـفة، ويمكن تلخيصها فى:

- أن عالم الحس حقيقى وهو كما نحسه ونراه.
- أن العالم جزء من الطبيعة، ويمكن التعرف على أسراره عن طريق الأحاسيس والخبرات.
- جميع الأشياء المادية التى تحدث فى هذا العالم تعتمد على القوانين الطبيعية.
- القوانين الطبيعية تسيطر على حركة الكون.
- يمكـن للإنســان معرفــة الحقيقــة عـنْ طريــق الأســلوب العلمــى والوســائل التجريبية، علماً بأن الإنسان لا يستطيع أن يعرف كل شئ.
- لا يمكن فصل العقل عن الجسم، كما أنه لا يوجد أى سيطرة لأحدهما على الآخر، ولكن هناك علاقة منسجمة بين الإثنين.
- يحق للفرد أن يحدد اعتقاده بنفسه.

ومن هنا يتضح أن الأساس الذى تقوم عليه الفلسفة الواقعية يتمثل فى: الاعتقاد فى حقيقة المادة. فالكون بالنسبة للفيلسوف الواقعى ليس خدعة بل هو شئ جوهرى يوجد حقاً. وهذا يعنى أن العالم هو مصدر كل الحقائق. بمعنى أن جميع الحقائق تأتى من هذا العالم المعاش. أى عالم التجربة والخبرات اليومية.

الملامح التربوية للفلسفة الواقعية :

من الواضح أن التربية الواقعية اتجهت إلى الاهتمام بدراسة مظاهر الحياة الطبيعية، والتركيز على البيئة الحاضرة بدلاً من التركيز على تراث الماضى، وأصبحت وظيفة التربية موجهة نحو الاهتمام بإعداد الطفل للحياة العملية ومسئوليات الحياة الاجتماعية. ولهذا اتسمت الفلسفة الواقعية بالعديد من الملامح التربوية التى تميزها عن غيرها، ويمكن توضيح ذلك على النحو التالى:

- أن هدف التربية هو إدراك الحقيقة والوصول إلى قدسية الآله الأزلى الذى لا يتغير وذلك عن طريق المعرفة.
- أن التربية العقلية هى غاية فى حد ذاتها. وهى أيضاً وسيلة لإدراك الأشياء، وتعليل وجودها. ومن هذا المنطلق يمكن للمدرسين البدء بتدريس مادتهم بالواقع المحسوس ثم الانتقال إلى جوهر المادة المجردة.
- تؤمن هذه الفلسفة بالثنائية بين الطبيعة وبين القوة الخارقة للطبيعة أى الآله فهى تؤمن بالقوى الروحية والخلقية، كما تؤمن بدور رجال الدين فى التربية.
- تعطى الفلسفة الواقعية المدرسية أهمية كبيرة للمعرفة ومقرراتها الدراسية أكثر من إعطائها أهمية للمتعلمين وميولهم ورغباتهم على اعتبار أنها أشياء متغيرة، ولكن الحقائق التى يحتويها المناهج هى أشياء ثابتة غير متغيرة.

- يجب دراسة العلوم الطبيعية والطريقة العلمية لأنها ضرورية من أجل مساعدة الإنسان على فهم بيئته وواقعه الطبيعى، ويجب أن يخصص لدراستها وقت كاف فى المدرسة على حساب الاهتمام بالنواحى التطبيقية.
- لا ينبغى أن يقتصر التعلم على الكتب وحدها، وإنما يجب أن ينظر إلى الطبيعة على أنها كتاب مفتوح منه، نتعلم أسرارها من أجل الاستفادة العلمية ومعرفة قوانينها والسيطرة عليها.
- يجب أن تسعى التربية إلى اكتشاف القوانين الطبيعية للإنسان التى هى جزء من قوانين الطبيعة والتى تتحكم فى تعليمه حتى يمكن تربيته على أساس سليم.
- يجب أن تتمشى التربية مع مراحل النمو السيكولوجى الطبيعى للطفل، وأن تتمشى مع مداركه وقدراته، ويجب أن ينظم السلم التعليمى للمدارس على هذا الأساس.
- يجب أن تستغل التربية الحواس باعتبارها مصادر ضرورية للمعرفة، وأن تعمل على تنميتها من خلال التعليم عن طريق اللعب والعمل والنشاط والتمرينات وغيرها.

يتضح من ذلك أن الفلسفة الواقعية تؤكد على المعرفة، وأنها أهم من المتعلم واحتياجاته، كما أنها تعد الوسيلة لإدراك الحقيقة باعتبارها الهدف النهائى من التربية، كما تؤمن هذه الفلسفة بالثنائية ولكنها ليست كثنائية أفلاطون، فهى تؤمن بالطبيعة والقوة الخارقة لها.

وتولى رجال الدين أهمية كبيرة فى التربية، وأن العلوم الطبيعية أهم من العلوم النظرية، الاعتماد فى العملية التعليمية على العالم المحسوس، عدم الاقتصار على الكتب الدراسية والاعتماد على الطبيعة، أن تراعى التربية مراحل النمو الطبيعى للطفل، كما أنها تؤكد على الأنشطة واللعب فى تربية الحواس.

مفهوم التربية فى ضوء الفلسفة الواقعية :

دخلت الواقعية إلى مجال التربية كاحتجاج ضد الكتب والمناهج الصعبة وعديمة الفهم، واعتبرت التربية لها علاقة بحقائق الحياة الفعلية فى كل مظاهرها، وأنها تحاول إعطاء المهارات والمعارف للأفراد التى تجعلهم بالضرورة أن يعيشوا سعداء فى المجتمع، وقد انعكس ذلك على مفهوم التربية، وذلك على النحو التالى:

يرى « أرسطو» أن التربية تعنى: أنها خدمة ضرورية لبناء مجتمع متماسك يسوده الأمن والاستقرار ولبناء الروح المعنوية، ولإعداد المواطنين الصالحين.

ويتضح من ذلك أن المفهوم الذى ذكره « أرسطو» جاء نتيجة لنظرته إلى التربية على أنها فرع من السياسة، حيث يرى أن التربية خدمة مجتمعية وظيفتها نشر الأمن وإشاعة الاستقرار بين أفراد المجتمع من أجل إعداد مواطنين صالحين.

أما « كومنيوس » فيرى أن التربية هى: الإعداد الكامل ما أمكن للحياة الآن، وفى المستقبل ليس عن طريق اللغات، ولكن عن طريق كل الحقائق حول الكون والتى فتحت لها اللغات الأبواب.

أما « جون لوك » فقد عرف التربية: أنها عملية تدريب وتهذيب للقوى الجسمية والاستعدادات والقدرات العقلية والدوافع الفطرية المتصلة بالنزعات الأخلاقية.

يتضح من ذلك أن مفهوم التربية عند « جون لوك » يشمل تربية كل جوانب الإنسان، ولكن يعطى أهمية كبرى للناحية الأخلاقية، وأنه سخر بقية جوانب الإنسان لخدمة الأخلاق.

وعرف « مونتيني » التربية بأنها فن تكوين الإنسان بالمعنى الكامل وليس تكوين الإخصائيين فى بعض المعارف أو العلوم، وأن الآداب والدراسات ليست غاية الثقافة ولكنها واسطة وأداة لها، فالتربية من وجهة نظره ليست إعداد

متخصصين فى مجال العلوم ولكنها تشمل كل جوانب الإنسان المختلفة، وبذلك فهو يتفق مع الفلاسفة الطبيعيين، كما أن التربية من وجهة نظره أيضاً عملية إعداد للحياة العملية ومواجهة مشاكلها، كما أنها وسيلة لتكوين ضمير الفرد الخلقى وتنمية ملكاته العقلية المختلفة وخاصة الفهم والحكم.

أما «فيفز» يرى أن عملية التربية تعنى عملية التعلم، ولهذا يجب أن تتمشى هذه العملية مع الخصائص العقلية للمتعلم، كما ينبغى أن تتوفر فيها الشروط اللازمة لإحداث التغييرات السلوكية المرجوة منها فى سلوك التلميذ، لذلك فقد وضع بعض الشروط والمبادئ التى يجب مراعاتها فى عملية التربية وعملية التعلم، والتى منها: الإيمان بضرورة مراعاة ميول الطفل وحاجاته الضرورية، ضرورة ترتيب الأفكار المراد تعلمها والربط بين بعضها بعضاً من ناحية، وبينها وبين أسبابها وعللها من ناحية أخرى، وجوب ربط عملية التربية والتعليم بشئون الحياة اليومية، وبخبرات الطفل فى الحياة وبإدراكاته الحسية، وبضرورة جعل البيئة التى يتم فيها التعليم سارة ومشجعة على التعليم.

أهداف التربية فى ضوء الفلسفة الواقعية :

لقد حدد الواقعيون أهداف التربية وذلك على النحو التالى: يرى «أرسطو» أن الغرض من التربية هو:

- إعداد العقل لكسب العلم، كما تعد الأرض للنبات والزرع.
- النمو النفسى والجسمى السليم للفرد.
- إيجاد حياة معيشية معقولة، وأن النظام التربوى يجعل الفرد قادراً على الارتباط بالآخرين لتوجيه كل سلوكياته بصواب.
- تحقيق خير الفرد بتأدية الواجبات والمهام الصغرى فى هذه الحياة.

يتضح مما سبق أن « أرسطو» يرى أن هناك هدف أعظم للتربية وهو السعادة، ويرى لتحقيق هذا الهدف الأعلى لابد أن تعمل التربية فى نظره على

مساعدة الفرد على أن ينمى صحته ويحافظ عليها، وأن ينمى ملكاته العقلية، وأن يحصل على الشهرة والشرف وأن ينجح فى تكوين حياة عائلية طيبة، وأن يستخدم أوقات فراغه استخداماً حكيماً.

ويرى « مالكاستر» أن هدف التربية هو مساعدة الطبيعة بمنتهى الإتقان، لذلك قال، على التعليم ألا يحاول كبح جماح الميول الطبيعية والأنشطة الطبيعية للطفولة.

أما « ستانلى هول » فيرى أن هدف التربية هو تنمية طبيعة الطفل وأنشطته وإمكانياته وميوله، ويرى أن التربية ينبغى أن تكون متعددة الجوانب، وأن تؤدى إلى شخصية جيدة التوازن.

ويرى « ميلتون » أن التعليم ينبغى أن يعد الفرد للحياة الفعلية، لذلك يقول أننى أدعو إلى التعليم الكامل والسخى الذى يلائم الرجل ليقوم بأداء أعماله باتقان ومهارة سواء أكان خاصاً أم عاماً.

أما « جون لوك » فيرى أن هناك أهدافاً عامة للتربية حددها فى: الفضيلة، الحكمة، السيرة الحسنة فى السلوك، والمعاملة، التعليم المعرفى.

وإذا كان « جون لوك » حدد أهدافاً عامة للتربية فإنه يرى أن هناك هدفاً نهائياً (أو هدفاً أعلى) للتربية وهو تشكيل الخلق بالمعنى العام للكلمة، ومعنى هذا تهذيب الإنسان ككل من النواحى الجسمية والخلقية والعقلية، وقد اعتقد « لوك » أن تربية الجسم ضرورية للتربية الخلقية والعقلية، ومن ثم كان مثله الأعلى أن العقل السليم فى الجسم السليم، كما أن التفوق الجسمى والأخلاقى والعقلى كلها نتيجة للتدريبات الشاقة للجسم والعقل وضبط النفس، ووظيفة التربية هى أن تتيح هذه التدريبات.

إن « جـون لـوك » يـرى أنـه مـن أهـداف التربيـة وأسمهـا التربيـة الطبيعيـة المتكاملة وهى تربية الجسم والعقل والخلق على أساس أن العقل السليم فى الجسم السليم، ومن هنا يمكن القول أنه يتفق إلى حد كبير بما تنادى به التربية الإسلامية.

ويرى « لوك » أنه يجب تربية الطفل على الخشونة، فلا يأكل ولا يشرب ولا يلبس إلا الشئ القليل البسيط، ومن وجهة نظره أن هذه عادات مهمة للطفل تكسبه التوسط والاعتدال فى حياته وتكبح جماح نفسه وتكسبه النظام والانتظام فى سلوكه.

ومن هنا فإن هدف التربية عنده يرمى إلى قوة الجسم والفضيلة.

ويـرى أن التربيـة الأولى تهـدف إلى تكـوين العـادات الصـالحة، ويتـدرب الأطفال على تقبل أوامر الأب والمعلم، على أن يتحكم الخوف فى تحديد سلوكهم فى طفولتهم، ويتحول محور السلوك إلى الحب والصداقة عندما يكبر الطفل.

ويـرى « فيفـز » أن الهـدف الأساسـى للتربيـة هـو تنميـة روح الخـير والفضيلة والدين، وحول هذا الهدف الأساسى ينبغى أن تدور الأهداف الأخرى التى يجب أن تشمل فى نظره جميع مظاهر شخصية التلميذ.

ويرى « فيفز » فى موضع آخر أن هدف التربية هو تنمية الشخصية والقدرة، ولهـذا فهـو يـرى أن يكـون التعلـيم تابعـاً للـدين والأخلاقيـات، وينبغـى ألا تكـون الدراسات الأدبية أساس التعليم.

أما « كومنيوس » فيرى أن التربية تهدف إلى المساعدة فى الوصول بالإنسان إلى السعادة الأبدية فى الدار الآخرة.

وبناء على ذلك يمكن القول أن هدف التربية طبقاً للواقعية هو: إعطاء الفرد المعرفة الكاملة، فهم المجتمع الإنسانى والطبيعة الإنسانية، الدوافع والمواقف.

ولهذا فإنه على التربية أن توضح للأفراد كيفية علاقتهم بعالم الإنسان وعالم الطبيعة، والهدف من ذلك جعل التلميذ قادراً على التوافق مع نفسه فى البيئة التى يجب أن يعيش فيها.

ويرى « مونتيني » أن هدف التربية ليس حشو الذهن بالحقائق لكنه تكوين العقل المنظم المتقن وتهذيب ملكات النفس بخاصة ملكات الحكم عن طريق الملاحظة المباشرة لما يحيط بالطفل من عوامل طبيعية وإنسانية، وكذلك عن طريق التعرف على الناس والقيام بالرحلات، ولهذا فإن مونتيني دعا الأطفال إلى محاولة الوصول إلى الحقيقة بأنفسهم لا أن يأخذوها كأشياء مسلم بها مهما كان مصدرها، حيث إن الهدف الأعلى من التربية عنده هو الإعداد للحياة العملية السعيدة الناجحة الفاضلة، ولتحقيق هذا الهدف الأعلى هناك أهداف أخرى أقل عموماً منه يجب أن تتحقق فى نظره ومن بينها تحقيق صحة جسمية للفرد، وتنمية ضميره الخلقى ونزعته إلى الفضيلة، وتنمية قدراته العقلية.

ومن هنا يمكن القول أن ما يراه « مونتيني » يتفق إلى حد كبير مع ما تنادى به التربية فى العصر الحديث من الاهتمام بتربية الطفل من جميع جوانبه المختلفة الجوانب الجسمية والعقلية والوجدانية والاجتماعية.

ويعتقد « بيكون » أن الهدف النهائى من التعليم هو إعطاء الإنسان القدرة على السيطرة على الأشياء، وزيادة القدرة الإنسانية عن طريق استخدام المعرفة العلمية، ومعرفة البيئة الطبيعية ومظاهرها وعملياتها.

أما « أرازمس » فيرى أن هدف التربية يتمثل فى تربية الناشئين على التقوى على أساس من الفهم وذلك فى إطار من الحرية، كما تنمى الفرد لكى يستطيع أن يقوم بمهام الحياة التى سيحياها فى المجتمع حياة سعيدة إلى أقصى درجة ممكنة.

كما تستهدف التربية عنده تربية الطفل تربية أخلاقية من نعومة أظافره حتى يشب على خلق حميد يستمر معه طوال حياته.

فالتربية عنده ذات أهداف دينية، أخلاقية، عقلية، اجتماعية، وأيضاً جسمية.

وفى هذا الصدد يقول « رابلبس » *Rabelais* أن هدف التربية هو تكوين الإنسان الكامل الماهر فى الفن والصناعة، وتنمية الرجل ككل بدنياً وعقلياً.

وأكد ذلك ما يراه البعض من أن هدف التربية طبقاً للفلسفة الواقعية هو إعداد الفرد لتقبل حظه المكتوب فى هذه الدنيا وما التربية إلا مساعدة الإنسان ليتكيف مع بيئته لا ليشكلها أو يؤثر فيها، وحتى يتم التكيف الفعال بين الإنسان وبيئته فإن عليه أن يفهم العالم الذى يعيش فيه، وهذه المعرفة من الممكن اكتشافها وتلقينها للصغار بطريقة منظمة فى المدارس.

وفى ضوء ذلك يمكن استخلاص أهداف التربية طبقاً للفلسفة الواقعية، كما حددها بعض المربين كالتالى:

- التركيز على المادة والواقع والتجربة العملية.
- جعل أهداف التربية أهدافاً مادية، بمعنى تعليم الإنسان حرفة أو مهنة يكسب منها عيشه.
- المساهمة فى تنمية الاقتصاد القومى، وزيادة الدخل عن طريق ربط التربية والتعليم بخطط التنمية.
- التركيز على العلوم والطريقة العلمية فى التفكير والتعليم.
- فهم العالم الواقعى للإنسان والطبيعة، ومساعدة الفرد على التلاؤم مع واقع البيئة التى يعيش فيها.
- تزويد التلميذ بالمعرفة التى يحتاجها للحياة فى العالم الطبيعى، ومثل هذه المعرفة ستوفر له المهارات الضرورية لتحقيق حياة آمنة وسعيدة.

- تمكين الطفل من أن يصير شخصاً متوافقاً توافقاً حسناً، وأن يكون منسجماً عقلياً وجسمياً مع البيئة المادية والثقافية.
- إعطاء التلميذ معلومات كاملة وفهماً للمجتمع الإنسانى، والطبيعة الإنسانية والدوافع والمؤسسات.
- تكوين الإنسان الكامل الماهر فى القيم والصناعة، وتطوير الإنسان الكامل جسمانياً وأخلاقياً وفكرياً.
- إعداد الإنسان من أجل الحياة الواقعية فى عالم واقعى.

مؤسسات تربية الطفل فى الفلسفة الواقعية:

الباحث فى التربية يلاحظ أن الفلسفة الواقعية أدركت أهمية الأسرة كمؤسسة تربوية هامة للطفل، فقد اعتبر « أرسطو» المنزل مركزاً تربوياً هاماً، كما آمن بأهمية دور الأسرة التربوى كجزء حقيقى من الكل الاجتماعى وهو الدولة، وهذا عكس « أفلاطون » الذى ألغى نظام الأسرة لمصلحة الدولة بالاشتراكية فى النساء، وتربية الأولاد فى المعسكر العام، بينما نظر « أرسطو» إلى الدولة على أن وظيفتها توجيه المجتمع بصورة يتحقق معها أعظم خير للبشرية.

ولهذا فإن « أرسطو» يرى أن المنزل والدولة يلعب كل منهما دوراً أو جزءاً فى تربية الطفل من الميلاد حتى سن السابعة، حيث أن المنزل يدرب الأطفال على العناية الجسمية السليمة، والعادات الأخلاقية، أما من بعد سن السابعة فإنه يقوم بتدريب الأطفال على ضبط الانفعالات.

ولهذا فإن « أرسطو» يرى أن تربية الطفل مسئولية الأهل وبشكل أخص مسئولية الوالد، فالوالد هو علة وجود الولد، وهو مسئول عن إعالته وتربيته، وهذه الأخيرة تبدأ قبل الولادة بكثير تتخذ إجراءات لكى تأت الصفات الجسدية للأولاد المنجبين مطابقة لرغبة المشرع.

ولهذه الغاية يشير « أرسطو » إلى العمر المرجو للأب والأم وحتى إلى أفضل فترة للحمل وهى برأيه - الشقاء - كما أوصى الأمهات فى فترة الحمل أن يعتنين جيداً بأجسادهن، فيتنزهن ويتغذين تماماً، بينما يسرح فكرهن فى هدوء كامل.

ومن الملاحظ أن « أرسطو » يرى أن تربية الطفل لا تبدأ بعد ولادته، وإنما تبدأ تربيته قبل ولادته، ولتحقيق ذلك يرى « أرسطو » أنه ينبغى مراعاة التوافق بين الزوجين قبل عقد الزواج، ومراعاة السن الملائم لذلك، بحيث تتناسب الأعمار بين الزوجين والأولاد الذين يخلفونهما، وحتى لا يكون بين الآباء وأولادهم فرق كبير فى العمر، يصعب معه قيامهم بتربية أولادهن التربية المناسبة.

ويرى « فيفز » أن كلا من الوالدين ينبغى أن يأخذ دوراً فى تربية الطفل، فينبغى أن تكون الأم معلمة الطفل الأولى، ويجب على الأب أن يوجه جميع أوجه تدريب الطفل، وفى حالات نادرة قد يكون من الضرورة بالنسبة للطفل أن يتعلم تعليماً خاصاً بواسطة مؤدب.

ويرى « مونتينى » أنه ينبغى الاستعانة بمؤدب للأطفال، ووضح أن اختيار المؤدب هو أكثر واجبات الوالدين أهمية.

أما « جون لوك » فقد كان يؤمن بالحرية الفكرية للطفل، ولذلك نادى بألا يكون التعليم عاماً تحت إشراف الدولة أو الكنيسة، لأن هذه أو تلك ستحاول أن تثبت فى النشء ما يتفق وأهواؤها من الآراء والعقائد، لهذا يشير بعض المربين أن « لوك » كان من أنصار التربية المنزلية مفضلاً إياها على التربية النظامية فى المدارس، إذ أن الأخيرة تفتقر إلى الإشراف المناسب على الأطفال.

وقد أدرك « جون لوك » مساوئ هذه المدارس، حيث أن التربية فيها تتسم بالخشونة ومجافاتها لروح النظام، كما أن التعليم فيها يتم عن طريق القمع والإكراه، هذا بالإضافة إلى اهتمامها المتزايد بدراسة اللغة اللاتينية وبإرهاقها

للمتعلم بالحفظ والاستظهار، وهكذا يجبر المتعلمون على دراسة مواد لا تتصل من قريب أو بعيد بحاجاتهم واهتماماتهم، أو بمدى نفعها فى حياتهم المستقبلية، ويرجع «لوك» السبب فى ذلك إلى فشل المعلمين فى فهم الطفل والتعرف على حاجاته.

بعض جوانب تربية الطفل طبقاً للفلسفة الواقعية:

وفيما يلى عرض بعض جوانب تربية الطفل المختلفة طبقـــاً للفلســـفة الواقعية وذلك على النحو التالى:

التربية الجسمية للطفل:

أولت الفلسفة الواقعية تربية الطفل جسمياً عناية خاصة، ويتضح ذلك من آراء رواد هذه الفلسفة، فكان «أرسطو» ينادى بأهمية التربية الجسمية، والعناية بها قبل الزواج وأثناء الحمل وبعده بالنسبة للطفل، فكان يرى ضرورة العناية باختيار من يصلحون للزواج، وكان يرى ضرورة عدم الزواج إلا للأصحاء، ومن هنا جاءت نصيحته بالقضاء على الأطفال المشوهين والمرضى ليتمتع المجتمع بأفراد أقوياء.

كما كان يرى أنه حتى يولد الأطفال أصحاء أن يحدد سن الزواج، وتنظم الأمور المتصلة بإنجاب الأطفال، فرأى أن أفضل سن لزواج المرأة هو الثامنة عشرة، وأفضل سن لزواج الرجل هو السابعة والثلاثين حتى يكون النسل صحيح الجسم سليماً.

كما أكد على الاهتمام بالأم أثناء الحمل، حيث كان يوجه عناية خاصة بالحالة الصحية للأم فى فترة الحمل، ملفتاً النظر إلى أهمية نشاطها وكثرة حركتها وإحسان تغذيتها لما له من آثار إيجابية على صحة الجنين.

كما اهتم بتربية الطفل جسمياً بعد الولادة، وفى السنوات الأولى لميلاده، فكان «أرسطو» يرى أن الاعتماد على الرضاعة الطبيعية فى تغذية الطفل يعتبر من العوامل الهامة فى تحقيق النمو الجسمى السليم (بعد الميلاد).

كما نصح بتغذيته ورياضة جسمه وتعويده احتمال برودة الجو تدريجياً، كما ينصح بأن يغذى الطفل باللبن لأنه من أهم الأغذية فى هذه المرحلة.

ورغم أن « أرسطو» كان يرى أن هناك علاقة بين الجسم السليم والعقل السليم حيث اعتبر أن تربية الجسم التى تؤدى إلى تكوين جسم سليم تؤدى أيضاً إلى تكوين عقل سليم وراجح. إلا أنه من الملاحظ كان يرى عدم الإكثار من الأنشطة التى تتطلب من الطفل بذل مجهود عقلى حتى لا يعوق النشاط العقلى نموه الجسمى.

كما طالب أرسطو بالاعتدال فى ممارسة الرياضة البدنية، وأن تكون هذه الممارسة ملائمة لطبيعة المرحلة العمرية. فالتمرينات يجب أن تكون خفيفة بعيدة عن العنف حتى سن المراهقة.

كما يرى أنه ينبغى ألا يتعلم الطفل تعليماً رسمياً قبل بلوغه سن الخامسة حتى لا يعوق نشاطه العقلى نموه الجسمى.

كما اهتم بالألعاب الرياضية باعتبارها من الوسائل الهامة فى التربية الجسمية. فمن الملاحظ أنه يؤكد على الجناستك والألعاب الرياضية لضمان الصحة الجسمية والكفاءة فى الأعمال. فاستعمال القرص ورمى الجريد من التمارين التى تقوى مهارات جسدية مطلوبة.

ومن هنا يؤكد « أرسطو» على أن الهدف من بناء الأجسام ليس تنمية القوة البهيمية وجعل قوة الجسد تتغلب على قوة العقل، لذا فهو يهاجم التربية الأسبرطية هجوماً عنيفاً إذ أن هذه التربية كانت فى رأيه تكون العجماوات ذات العقول البليدة فالخفة فى الحركات ورشاقة الجسم يجب أن يستهدفا فى الرياضة.

كما كان يرى أن التربية الرياضية يجب أن تهدف إلى تكوين العادات الطيبة وإلى ضبط الشهوات وكبح جماح اللذات. فلا ينبغى أن تهدف التربية الرياضية إلى مجرد التفوق فى الألعاب الرياضية أو إلى الخشونة، فكل نوع من

التربية والتعليم يجب ألا يساير الآخر وذلك لأن نوعى العمل يعارض أحدهما الآخر، فعمل الجسم يعرقل عمل العقل وعمل العقل يعرقل أو يعطل عمل الجسم.

أمـا « كومنيـوس » فكـان يـرى ضـرورة الاهتمـام بالتربيـة الجسـمية، وتتشـابه أراؤه إلى حد كبير مع آراء « أرسطو » فى هذه الناحية، حيث نصح بالعناية بتغذية الطفل والإكثـار من تعريضـه للـهواء الطلق مـع تقويـة جسمه بالرياضـة والألعـاب لاستغلال قدرته ورغبته وميله إلى اللعب.

كما يتفق معهم « رابليه » بأن التربية الجسمية تتمثل فى العناية بالنظافة والرياضة، فالنظافة تحفظ الجسد، والتمرينات تقويه.

أمـا « مـونتينى » فقـد آمـن بالتربيـة الجسـمية للطفـل وبقيمتهـا، كمـا آمن بضرورة تدريب الحواس.

وأما « جون لوك » فقد نادى بأهمية التربية الجسمية واعتبرها المثل الأعلى للتربية، فالقوة الجسدية فى نظره هى التى تساعد الطفل على تحمل المصاعب.

ومن أجل التربية الجسمية السليمة وضع « جون لوك » مجموعة من القواعد لتحقيق ذلك حيث أكد على تكوين العادات الصحية الطيبة، كما أوصى ببساطة الطعام ويعطى أهمية للنوم دون الإكثار منه، والقدرة على النوم تحت أى ظروف، وهو يمنع الأطفال من أكل الحلوى وكثرة الأكل، والأكل بين الوجبات، كما أكد على الحاجة إلى التدريبات وألوان النشاط المختلفة فى الهواء الطلق.

كمـا وضـع « لـوك » نظامـاً خاصـاً للتغذيـة، فهـو يـرى أن يكـون غـذاء الأولاد بسيطاً وصحياً فلا يستهلكون السكر والملح والتوابل إلا بمقادير معتدلة، وينصح عموماً بالفاكهة ويشجع على أكل التفاح والأجاص والكرز والمشمش، ولا يحبذ كثيراً أكل الشمام والخوخ والعنب، ويجب ألا تكون الملابس ضيقة لا للذكور ولا للإناث.

ويرى أيضاً أن ما يساعد على نمو الأطفال نمواً جسمياً صحيحاً عدم لبس الأطفال ملابس ثقيلة تدفئهم شتاءً وأن يسيروا ورؤوسهم عارية، وأن يناموا مبكراً ويستيقظوا مبكراً.

ومن الواضح أن « جون لوك » كان يهدف من وراء تلك الوسائل إلى تحقيق نوع من الضبط والاعتدال والانتظام فى العادات بالجسم، لأن رقة البدن وضعف تكوينه بين أبناء الطبقة الأرستقراطية ترجع إلى ما يستغرقون فيه من تراخ وبذخ وترف، كما أنه كان يرى ضرورة أن يكون الجسم سليماً خشناً متكيفاً مستجيباً لمطالب العقل.

فـ« جون لوك » اعتبر التربية الجسمية وتقوية البدن مصدر العقل وسلامة النفس وغرس القيم الاجتماعية والخلقية.

يتضح مما سبق أن الفلسفة الواقعية اهتمت بتربية الطفل الجسمية اهتماماً واضحاً وهذا الاهتمام كان نابعاً من رؤية معينة، وهى أن التربية يجب أن تعتمد على نمو صحى سليم للمتعلم، واعتبر الغذاء المناسب والتمرينات الرياضية من العوامل الأساسية لهذا النوع من التربية، وأن نمو الطفل وخاصة النمو الجسمى يتأثر كثيراً بالعوامل الوراثية الجسمية والنفسية.

التربية العقلية للطفل:

اهتمت الفلسفة الواقعية بالتربية العقلية على أساس أنها غاية فى حد ذاتها ووسيلة لإدراك كل شئ وتحليله عن طريق التدريب الصحيح على التفكير، ولذلك كان الاهتمام بالدراسات الأساسية ذات الصلة الوثيقة بالنواحى العقلية والمنطقية الإنسانية.

كما اهتمت الفلسفة الواقعية بالتربية العقلية للطفل فيما قبل المدرسة، ويتضح ذلك من آراء بعض روادها على النحو التالى:

يـرى « أرسـطو» أن مرحلـة الطفولـة تمثـل مرحلـة نمـو جسـمى إلا أنـه كـان يرتبط بالنمو العقلى على أساس أن نمو الجسم السليم فى هذه المرحلة يساعد على تحقيـق النمـو العقلـى فيمـا بعـد، لـذلك نصـح « أرسـطو» بـألا يبـدأ التعليم المدرسـى الرسمـى للطفـل إلا بعـد سـن الخامسـة، وإن كـان يـرى أن يسـمح للطفـل بـبعض الألعـاب البسيطة التـى تسـاعد على تحقيـق بعض النمـو العقلـى بشـرط ألا تكـون معقدة، حيـث أن الغـرض منهـا هـو الترفيـه عـن الطفل، كمـا ترجـع لأهميتهـا للنمـو العقلى للطفل.

وقد اعتقد « أرسطو» أن الهدف من التربية هو تنمية العقل والتفكير، كما اعتبر العقلانية أعلى صفة فى الإنسان.

ومـن هنـا يتضـح أنـه اهـتم بتـدريب العقل وتنميتـه عـن طريـق تعليم النحـو والمنطق. كمـا يؤكـد « أرسطو» على دروس العلوم الطبيعية ودروس تـاريخ الإنسان، ويرتفـع بهمـا مثـل أستـاذه « أفلاطـون » إلى مـا وراء الطبيعـة وعلـى التفكير فـى الإلـه الواحـد خـالق الكـون. فالمعرفـة الصحيحـة عنـده هـى المعرفـة التـى تـؤدى إلى إدراك الوجود ما وراء الطبيعة والتأمل فيه.

ويرجـع اهتمـام « أرسطو» بـالجانب العقلى فى التربيـة- بل اعتبره من أهم جوانب التربية- لاهتمامه بالفضائل العقلية كأعلى قيم للسلوك الإنسانى.

ويـرى « رابليـه » أن التربيـة العقليـة يجـب أن تحظـى بالاهتمـام مثـل التربيـة الجسـمية، وفـى هـذا الصـدد اهـتم « رابليـه » بـالعلوم المتصـلة بالعـالم الخـارجى وبالإنسـان. ويـرى أنـه مـن المفيـد للـنفس أن تـنعش خيالهـا، وأن تـروح عنهـا برؤيـة مشاهدة الطبيعة الجميلة وأن يتعرف على كل ما فى الطبيعة.

أما « مونتينى » فيرى أنه لكى يربى الطفل تربية عقلية سليمة يجب التركيز على تدريبه على النقد والفهم الصحيح والحكم الصائب.

أما « كومنيوس » كان يرى أن التربية العقلية يبدأ الاهتمام بها من الأسرة، فكان يرى أن الطفل يتعلم عن طريق الأم بعض المبادئ البسيطة العامة فى العلوم والحقائق الكونية من خلال توجيه انتباه الطفل بملاحظة المظاهر الطبيعية المحيطة به حتى تنمو حواسه وتقوى نتيجة لتكرار هذه الملاحظات.

كما أكد « كومنيوس » على أنه يجب أن يحصل الطفل على ما نريد إعطاؤه للكائن الإنسانى من معارف أولية تساعد على تلبية حاجات الحياة، وهذا يعنى بصورة أساسية تدريب الحواس لربط الأشياء بالكلمات وتعريض الطفل لاختبارات متنوعة.

ويؤكد « كومنيوس » أن هناك علاقة وطيدة بين اللعب والتنمية العقلية، وهذا ما يشير إليه البعض من أن « كومنيوس » طلب أن يهيئ للأطفال وسائل اللعب المفيدة وغير المؤذية لأن قلة النشاط والحركة أكثر ضرراً للعقل والجسم من أى شئ آخر.

أما « جون لوك » فقد أدرك حاجة الأفراد إلى التفكير السليم، ولكن يرى أنه رغم أنهم يولدون ولديهم من القوة والملكات العقلية ما يمكنهم من عمل كل شئ، فإنهم غالباً ما يقعون فى الخطأ وقد أرجع الخطأ إلى الأسباب التالية:

- نقص البراهين أو الأفكار المتوسطة، أى قلة الأفكار الموجودة فى الذهن والتى يمكن أن تكون وسيلة لربط بقية الأفكار الأخرى.
- عدم المهارة فى استعمال هذه الأفكار المتوسطة إن وجدت.
- عدم وجود الإرادة لاستخدامها حتى لو توفرت المهارة.
- مقاييس الاحتمال الخاطئة، وهذه قد ترجع إلى:

أ - استخدام القضايا المحتملة للشك - كمبادئ أولية - مثل القضايا وخاصة المتعلقة بالدين التى يتلقاها الأطفال منذ صغرهم من الوالدين أو المربين فى

عقولهم حتى يكبروا وهم يستخدمونها كمبادئ أولية ثابتة مطلقة صحيحة لا يمكن الشك فى صحتها.

ب- تقبل الافتراضات.

جـ - العواطف والإحساسات السائدة.

د -قوة السلطة ويقصد بها «لوك» أن الإنسان غالباً ما يخلع موافقته على الأفكار أو القضايا الشائع استعمالها سواء بين أصدقائه أو جماعته.

كما يرجع الخطأ بصفة عامة إلى افتقار الناس إلى التدريب على التعقل السليم.

ومن هذا المنطلق دعا «لوك» إلى التربية العقلية وذلك عن طريق تنمية العادات الفكرية عن طريق التجربة والانضباط، ويرى أن الرياضيات هى خير وسيلة لهذه الغاية.

وانطلاقاً من ذلك يحدد «لوك» الهدف من التربية العقلية بأنه: أن ينفتح عقل المتعلم على شتى العلوم، ومهمة المعلم أو المربى أن يدرب ملكات المتعلم ويعلمه حسن استخدام وقته وأن يعوده تحمل الآلام ليحقق الكمال فى عمله.

ويتضح من ذلك أن «لوك» يتفق مع بعض آراء الفلسفة الواقعية الحسية بالنسبة للتربية العقلية، فقد ربط بين التربية العقلية وتهذيب العقل، وطالب بأن تتسع مناهج الأطفال للتدريبات الكثيرة فى دوائر الفن والعلم.ولم يقصد ملء أذهانهم بالمعارف والعلوم المختلفة، وإنما قصد أن تعمل على تكوين عادة التفكير، وممارسة حرية التفكير الذى يساعد على إنماء مداركهم، واستثارة نشاطهم العقلى، فيتعود الطفل منذ الصغر ربط الأفكار ببعضها والمعانى بوجودها فى الحياة.

التربية الخلقية للطفل:

من الواضح أن التربية الخلقية فى الفلسفة الواقعية كانت مؤسسة على قاعدة من الطبيعة لأن الأخلاق تنشأ وتتولد من العادات والتقاليد إما بالضبط الاجتماعى، أو بالدفع الذاتى بناء على قوة نتائجها الطبيعية، وعلى هذا فالتربية

الخلقية لا تحتاج إلى سلطة خارجة عن الطبيعة، وليس الضمير إلا صدى للعادات والتقاليد والقيم الاجتماعية لا للأوامر الإلهية.

وقد اهتم الفلاسفة الواقعيين بالتربية الخلقية اهتماماً واضحاً. فقد أولى « أرسطو » التربية الخلقية عناية خاصة. لأنه كان يعتقد بأن كمال الإنسان وخيره المطلق يحقق السعادة. وهذه السعادة يمكن بلوغها عن طريق قيام الفرد بأعماله على أكمل وجه.

وإنطلاقاً من ذلك ينادى « أرسطو » بأن تكون العناية بأخلاق الأطفال فى أيدى الحكومة والوالدين لا فى أيدى الرقيق. ويجب أن يهدف التدريب الرياضى إلى تربية العادات الطيبة وضبط العواطف والشهوات. فلا يجب أن يهدف إلى مجرد التفوق فى الألعاب الرياضية ولا إلى الخشونة والوحشية. ويجب أن نعتنى بما يقع تحت نظر الطفل. فلا يقع إلا على ما هو جميل مستحسن. ولذا منع مخالطتهم للخدم على قدر الإمكان ومنع مشاهدتهم مجالس اللهو والروايات الهزلية.

كما اهتم « أرسطو » بوسائل التربية الخلقية حيث يرى أن المواد التقليدية كالموسيقى والأدب من الوسائل المناسبة لها.

كما نصح بعدم ترك الأطفال لرعاية الخدم والعبيد. حتى لا يتعرضوا بأية حال لسماع الألفاظ البذيئة أو رؤية الأعمال المشينة.

ويرى « أرسطو » أيضاً أنه يمكن تنمية التربية الخلقية عن طريق غرس العادات الطيبة.

كما يرى أن من وسائل التربية الخلقية. الموضوعات الأدبية والكتابة والرسم. ويجب أن تعلم لا لفائدتها المادية فقط. بل لتهذيب النفس وترقية الفكر وتنمية الذوق. أما الموسيقى فلها عند « أرسطو » شأن عظيم فى تهذيب النفس

وتثقيف العقل، وإثارة العواطف، وصرف أوقات الفراغ فى أفضل أنواع السرور فهى التى تبعث النشاط وتثير الغضب وترغب فى الفضائل.

وقد أكد « أرسطو » على أهمية الموسيقى فى التربية الخلقية وفى تزويد المرء بالقابلية للتمييز بين الخير والشر والجميل والقبيح، وقد وضح أن للموسيقى مهام متعددة منها، أنها واسطة للتسلية، وأنها حرفة لمن يتعاطاها للارتزاق، ومنها أنها تروض العقل والروح، وهذه المهمة الأخيرة هى ما يجب أن تؤكدها التربية، كما أنه فى الألحان الموسيقية تصويراً للحالات النفسية والخلقية من شجاعة وغضب واعتدال ومن رقة ولطف إلى غير ذلك، ولذلك يرى لابد من استخدامها فى تربية النشء، كما يرى أن يمنع كل بذاءة فى الحديث أو رؤية لوحات فاحشة لأنه يجب حماية الولد من كل انطباع شائن يجعل كل ما هو لا أخلاقى مرذول غريباً عن فكر الناشئة.

ومن الملاحظ أن « أرسطو » بنى رؤيته هذه على أن الإنسان- حسب وجهة نظره- يتكون من طبيعة وعادة وتفكير، والعادة تسبق التفكير، ولما كانت النفس الشهوانية تظهر قبل النفس المنطقية كان من الضرورى أن يربى الإنسان على ضبط الشهوات بالعقل.

أما « جون لوك » فقد أعطى للتربية الخلقية أسبقية على التربية العقلية التى هى أمر ثانوى بالنسبة للهدف الأساسى للتربية، وهو بناء الأخلاق، فالتربية الخلقية فى نظره تنحصر فى قوة النفس وفى قدرة الإنسان على إنكار ذاته والقضاء على رغباته وميوله التى لا يسمح بها عقله.

والملاحظ من وجهة نظره أن التربية الخلقية تتم عن طريق تدعيم سلطة الوالد أو المعلم، وينبغى أن يتعود الأطفال على تقبل أوامر الأب والمعلم على أن يتحكم الخوف فى تحديد سلوكهم فى طفولتهم ويتحول محور السلوك إلى الحب والصداقة عندما يكبر الطفل.

ولهذا فقد أكد على بث الفضيلة والأناة والتهذيب، وطالب بالبعد عن الوعظ والإرشاد والمجردات، والاهتمام بغرس الفضائل من خلال العادات الطيبة، وأوضح أن التربية الحقيقية هى التى تحقق التحكم فى الرغبات والغرائز، وتكمن فى تعود ضبطها لإطاعتها.

أما « مونتيني » فيرى أنه يجب أن تعمل التربية على تنمية الضمير الأخلاقى للفرد، وتربية الحكمة والنزعة إلى الفضيلة لديه، ولذلك فمن وجهة نظره أن الأخلاق عملية واقعية تتصل بواقع الحياة، وتجنب التزمت والشكلية والمثالية المعنوية، وتسمح للشخص بالتمتع بالحياة الجميلة البريئة.

لهذا يرى « مونتيني » إن الإعداد الخلقى للفرد يكون من أجل التكيف للتقاليد الاجتماعية للرجل المذهب شاملة اكتساب تلك القدرات مثل القدرة على معافرة الخمر بتمهل.

وبالنسبة للتربية الخلقية عند « كومنيوس » فيرى أن المدرسة هى المؤسسة التى يقع على عاتقها نشر المعرفة، وتقويم الأخلاق، موضحاً أهميتها فى التربية الخلقية وذلك على النحو التالى:

- ينبغى أن تثبت جميع الفضائل فى نفوس الأطفال.
- تأتى فى مقدمة الفضائل فضيلة الفطنة والحذر، وفضيلة ضبط النفس، وفضيلة الثبات والعزم، ثم فضيلة العمل، وهذه هى الفضائل الرئيسية التى تبنى عليها باقى الفضائل فتتكامل جميعها فى كل منسجم.
- أما الفطنة والحذر فيحصل عليها التلميذ بالتعلم الجيد وبالتفريق بين القيم النسبية للأشياء بحيث يمكنه تمييز الغث من الثمين بحيث تكون أكامة سليمة عندما يبلغ سن الرجولة.

- يتعلم التلميذ ضبط النفس عندما يتعود على ضبط شهوته فى المأكل والمشرب وفى النوم وفى اللعب والعمل ويدرب التلميذ على مراعاة عدم الإفراط فى أى شئ والإحجام عن التمادى فى أى اتجاه.
- أما فضيلة الثبات والعزم فتكتسب بأن يعود على التحكم فى نزواته كرغبته فى اللعب فى غير أوقاته وكبح جماح غضبه وصبره على المضايقات وإطاعة أوامر الكبار فى كل ما يأمرونه.
- يعود الصغار على التمسك بالعدل عندما يدربون على عدم الإضرار بأحد، وعلى إعطاء كل ذى حق حقه وتجنب الكذب والخداع والتعامل بالحسنى مع الناس.
- تكتسب الصراحة بالتعامل المستمر مع الناس وبسلوك لا يتغير سواء فى حضورهم أو غيابهم، وينبغى أن يتعلم الصغار أولاً قوانين المخاطبة لهم من خلال أنماط من الأحاديث مع أقرانهم وأساتذتهم وآبائهم وخدمهم، ويدربون على هذه الأمور حتى تصبح طبيعة ثابتة لهم.
- يتعلم الصغار تحمل المشاق إذا دربوا على العمل المتواصل سواء أكان عملاً جاداً أم لعباً، كما ينبغى شغل أوقات الصغار.
- أما فضيلة العمل فيجب غرسها فى الصغار بصبر وأناة، ذلك لأن الأنانية نزعة فطرية تجعل الفرد لا يفكر إلا فى مصلحته الذاتية ولا يأبه بأحد.
- ينبغى غرس الفضائل فى نفوس الصغار فى سن مبكرة قبل أن تهجم الرذائل على نفوسهم وتتملكها.
- إن ممارسة الفضيلة واتباع الطريق السليم فى كل الأعمال العقلية هى السبيل لتثبيتها فى النفس.

- يتعلم الصغار الفضائل من البيئة حولهم، من سلوك آبائهم ومعلميهم ورفاقهم ومربياتهم فى المنازل، فسلوك كل هؤلاء هو النمط الذى يقلده الصغار، فلابد لهم أن يكونوا قدوة حسنة للصغار.
- بالإضافة إلى ممارسة السلوك الفاضل عن طريق التقليد فإن التوجيه الشفوى الحكيم يفيد أيضاً فى بث الفضائل.
- ينبغى حماية الصغار من صحبة الأشرار، إذ أنهم سريعو التأثر، فإذا ما لازمهم ذو سلوك مصيب انتقلت إليهم العدوى، وشغل أوقات الصغير بالعمل واللعب يقيه من صحبة أهل السوء.

ومن هذا المنطلق يمكن القول أن التربية الخلقية طبقاً للفلسفة الواقعية تقوم بها الأسرة (الأب والأم) وليس العبيد والحكومة حتى يتربى الأطفال على الطاعة والالتزام، كما أنها تتم من خلال وسائل متعددة منها: التدريب الرياضى لتنمية عادات ضبط النفس، قراءة الموضوعات الأدبية والرسم لما لها من فائدة معنوية فى تهذيب النفس وسمو الفكر وسمو الذوق، كما اتضح أن تعلم الموسيقى كان من أجل إثارة العواطف وصرف أوقات الفراغ فى نشاط محدود.

المعلم فى ضوء الفلسفة الواقعية :

من الملاحظ أن المعلم فى الفلسفة الواقعية حظى باهتمام واضح باعتباره أحد العناصر الهامة الرئيسية فى أى نظام تربوى، ورغم هذا فإن بعض الكتاب يرى أنه لا يوجد أثر لهذا الموضوع عند « أرسطو » والأغرب من ذلك أن « أرسطو » خلال تعداده الوظائف الحكومية المختلفة فى الدولة الفاضلة، لم يلمح بتاتاً إلى المعلم.

بينما أشار البعض إلى أن « أرسطو » يرى أن واجب المعلم (المربى) أن يحمل الطفل على التمييز بين الخير والشر وإخضاع الشهوة للعقل.

أما « فيفز» فيرى أنه يجب أن يكون المدرسين ذوى مقدرة قوية على الدراسة والبحث. كما ينبغى أن يكون إعدادهم إعدادا شاملاً على كثير من الممارسة، وينبغى أن تدفع أجور هؤلاء المعلمين من الأموال العامة، كما أنه لا ينبغى على أى مدرس أن يتقبل نقوداً من أى من تلاميذه.

يتضح من ذلك أن « فيفز» يؤكد على أن المعلم لابد أن يكون باحثاً، أو أن تكون لديه قدرة بحثية بالإضافة إلى القدرة التدريسية، كما أنه يرى ضرورة إعداد من يقوم بعملية التدريس، وهذا لا يعنى أن أى أحد يقوم بهذه المهمة. كما طالب أن يكون المعلم متصفاً بالنزاهة وضرورة معيشته عيشة كريمة، والذى يتمثل فى إعطائه مقابل هذا العمل من الدولة حتى لا يتدخل أحد فى عمله.

ويعد « فيفز» من الذين اهتموا بمبنى المدرسة وموقعها حيث يرى أن موقع مبنى المدرسة ينبغى أن يختار اختياراً بعناية فائقة، وأنه يعطى اهتمام ملحوظ إلى تخطيط وتشييد وتجهيز المبنى.

أما « كومنيوس » فيرى أن المعلم هو خادم الطبيعة وليس سيدها ويجب أن يكون التدريس مناسباً للطفل وليس العكس.

أما بالنسبة للعلاقة بين المعلم وتلاميذه، فمن الملاحظ أن « جون لوك » حددها على النحو التالى: أوصى « جون لوك » بأن تكون العلاقة بين المعلم وتلميذه علاقة ود وحب بعيدة عن القسوة واللجوء إلى العقاب، وفى الوقت الذى يوصى فيه المعلم باللين وعدم اللجوء إلى العقاب، فإنه يوصيه أيضاً بالحزم فى المعاملة وعدم اختفاء الإطراءات والجوائز على التلميذ، فالجوائز لا تقل خطراً عن العقاب.

ويرى « لوك » أن المعلم هو الشخص الوحيد الذى يحل محل الوالد للطفل وذلك لنزاهته وعلمه، وهو الذى يستطيع إرساء أصول الفضائل فى نفس الطفل من خلال علاقته الشخصية مع كل تلميذ.

كما أنه يجب على المعلم أن يستعين بالطرق والأساليب التى تحبب الطفل وترغبه فيما يرغب من تعلم. وأن يقوم المعلم بتمرين الأطفال على استخدام تفكيرهم فى حدود إمكاناتهم وقدراتهم.

ويجب على المعلم أن يجيب على أسئلة الطفل بصدق وأمانة عندما تكون لديهم رغبة حقيقية فى المعرفة.

وأن يتفاهم مع الأطفال بهدوء ورأفة عندما يخطئون. ويرى أنه يجب أن يكون المعلم على قدر كبير من الثقافة والأخلاق والقدرة الفائقة على التفكير.

أما « مونتيسى » يرى أن يكون المعلم من ذوى الفكر الجيد لا من ذوى التفكير المحشو بالمعلومات. كما يجب أن يكون على درجة من الخلق والذكاء،ويجب عليه القيام بمهمته متبعاً طريقة جديدة.

كما يرى أن يثير المعلم حب استطلاع الأطفال مما يجعل الطفل يبحث عن الأشياء المحيطة به بداته، وأن يكتشف الأشياء الجديدة من حوله.

كما طالب « مونتيسى » بأن يقوم المعلم بمراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ، وأن يقوم بربط التعليم بالحياة.

وترى الفلسفة الواقعية أنه لابد من توافر بعض الشروط فيمن يقوم بالعملية التعليمية وذلك على النحو التالى:

١- أن يكون المعلم ضليعاً فى مادته التى يقوم بتدريسها، حيث إن وظيفته تتركز فى أن ينقل إلى المتعلمين بإصرار وجبر ما يراه صحيحاً، وتعترف الأغلبية بأنه حقائق حياتية.

٢- أن يهتم المعلم بالأنشطة المدرسية، حيث إنهم ينعون على التربية التقليدية فصلها بين العمل المدرسى والمجتمع الخارجى. بل أنهم لا يشفقون على المعلم

الذى يتجاهل قيمة النشاط المدرسى ويصر على دفع التلاميذ إلى الكتب المقررة يختزنون معلوماتها حتى إذا جاء الامتحان أفرغوا على ورقاته ما اختزنوا.

ويضيف بعض المربين أن الفلسفة الواقعية حددت بعض الشروط الواجـــب توافرها فى المعلم بالإضافة إلى ما سبق وذلك على النحو التالى:

- أن يوصل المعلومة إلى أطفاله بطريقة غير شخصية (موضوعية).
- أن يكون دارساً لعلم نفس الطفولة، وعلم نفس المراهقة.
- أن يكون قادراً على تكيف المادة طبقاً لميول تلاميذه.
- أن يجعل علمه ذا نزعة إنسانية.
- أن يكون قادراً على مساعدة تلاميذه فى القيام بالاكتشافات.

المنهج طبقاً للفلسفة الواقعية:

تنبع الفلسفة الواقعية من وجهة نظر أساسها أن الحقائق مصدرها الواقع، أى أن هذا العالم الذى نعيش فيه من خلال تفاعل الأفراد مع هذا العالم فى الخبرات اليومية، ولهذا فإن المنهج قد تأثر بوجهة النظر هذه ، ويتضح ذلك من خلال الآتى: يتكون المنهج من خلال الفلسفة الواقعية من مجموعة حقائق التى اكتشفها العلماء فى العالم الذى نعيش فيه لا من عالم آخر ومكونات المنهج الواقعى متى اكتشفت تصبح ثابتة ويكون تغييرها بطيئاً.

ولهذا يعتقد الواقعيون أن المنهج بحسن تنظيمه على أساس ارتباط المواد الدراسية بالمبادئ والأسس السيكولوجية للتعلم، التى تدعو إلى التدرج من البسيط إلى الصعب. كما يجب أن تكون هذه المواد الدراسية هى العلوم والرياضيات والإنسانيات والعلوم الاجتماعية والقيم، ويجب أن يعطى الاهتمام للعلوم والرياضيات لأهميتها بالنسبة للعالم الطبيعى ولأنها تساعد الإنسان على أن يتكيف ويتقدم فى بيئته الطبيعية، أما الإنسانية فليست لها هذه الأهمية ولكن لا

ينبغى تجاهلها فى المنهج المدرسى لأنها ضرورية لمساعدة الفرد على التكيف مع بيئته الاجتماعية.

ومن الملاحظ أن المنهج فى الفلسفة الواقعية كان يوضع على أساس حاجات التلاميذ ومنفعتهم والفائدة التى تتحقق له من وراءه، فكان المنهج عند «جون لوك» يخضع تشكيله لمبدأين أساسيين:

الأول: الحاجات الخاصة بتربية الجنتلمان، إذ أن التربية ينبغى أن تصاغ بحيث تتناسب مع مكانة الفرد وحاجته.

الثانى: المبدأ الخاص بمدى منفعة مواد الدراسة للمتعلم لذلك كان «لوك» يقلل من شأن المواد التى لا تؤدى بصفة مباشرة إلى إعداد صاحبها للحياة.

لهذا يرى «لوك» أن محتوى المنهج ينبغى أن يعمل على تنمية الفضيلة لدى الأطفال، وذلك عن طريق ترسيخ صورة صحيحة عن الخالق، ويجب أن يعود الأطفال طبقاً لسنهم ومقدرتهم على الصلاة، وأن يتحروا الصدق فى القول وأن يتحلوا بالطبع الحسن،كما ينبغى أن ينمى لديهم الحكمة وذلك بتعويدهم على التصور الصحيح للأشياء، ورفع مستوى تفكيرهم وعقولهم وإبعادهم عن الزيف والخداع.

وأن ينمى لديهم التهذيب وذلك عن طريق تهيئتهم عقلياً إلى عدم الإساءة للآخرين، وأيضاً بالطرق التى تلقى القبول من الآخرين بشرط أن تكون مناسبة لهم، وأخيراً ينمى فيهم التعلم وهذا هو الجانب الأصغر.

ويرى «لوك» أن الجوانب الثلاثة الأولى يمكن اكتسابها عن طريق القدوة والأمثلة الواقعية، والبعد عن الأوامر والنواهى.

وإنطلاقاً من ذلك رفض «لوك» دراسة بعض المواد الدراسية المختلفة، حيث أشار البعض إلى أن «جون لوك» عارض إغراق الأطفال تحت سيل من

قواعد النحو والصرف ملاحظاً أنه كان بالإمكان تعلم الإنجليزية بصورة طبيعية، كما يندد بتمارين الإنشاء وحفظ أبيات الشعر اللاتينية. وفى نفس الوقت شجع دراسة بعض المواد الأخرى، فإنه يرى أنه ينبغى أن يتضمن المنهج دروباً أخرى من المعرفة كالرقص الذى يحسن تعلمه فى سن مبكرة. وعدم العزف على آلة موسيقية لأن الموسيقى تضيع وقتاً كبيراً على الأطفال، كذلك يحسن تعلم المسابقة والفروسية.

ومن هنا يتضح أن المنهج الذى اقترحه « جون لوك » كان يتضمن المواد التالية: القراءة والكتابة، الإنشاء، اللغات الأجنبية، التاريخ والجغرافيا، العلوم، المهارات اليدوية، التربية البدنية، والأنشطة الترويحية.

كما أضاف « لوك » الموسيقى والرقص باعتبارهما ضروريان للتربية ولكنه فى نفس الوقت نبه إلى عدم الاستغراق فيهما إلا بالقدر الذى يسمح باكتساب قدر معقول من المهارات، أما بالنسبة للسفر والرحلات كجزء من التربية فإن « جون لوك » نصح بتأجيلهما حتى يكون الشاب قد أعد إعداداً كفيلاً بأن يبعده عن أخطار الإغراء.

يتضح من ذلك أن المنهج بالنسبة للفلسفة الواقعية وخاصة المنهج المقترح من « جون لوك » يمتاز بالشمول، كما أنه منهج متوازن هدفه الصريح تدريب العقل والخلق أكثر منه تحصيل العلوم والمعارف.

ولهذا يرى « مالكاستر » أن محتوى المنهج للأطفال يتكون من القراءة والكتابة كإعداد ضرورى لجميع المواطنين. وأعطيت اللغة الوطنية الإنجليزية المنزلة الأولى فى تلك المدارس سواء أكان ذلك على أساس كونها لغة التدريس أم أنها أساس كونها مادة دراسية فى حد ذاتها، ثم أدخل الرسم والموسيقى فى تعليم

الجميع، وكانت هاتان المادتان الوحيدتان اللتان تقدمتا بمعنى التدريب أو الهدف الدراسى، ولم يوضع شرط أو نص لدراسة الظواهر الطبيعية.

أما بالنسبة للعلوم التى يجب أن يلم بها الأطفال بداية من سنوات حياتهم المبكرة فقد حددها « كومينوس » فى الآتى:

١- الميتافيزيقا (علم ما وراء الطبيعة): حيث يرى أن هذا العلم يجب أن يكون نقطة البداية فى تربية الطفل، فبالرغم من أن الأطفال يرون ويسمعون ويتذوقون ويلمسون، إلا أنهم لا يدركون الأشياء التى يتحسسونها تماماً بالتدريج، فتكون لديهم مدركات عامة مثل شئ، أين، متى يشبه أو لا يشبه، فهذه الأشياء هى بداية علم الميتافزيقا.

٢- الفيزياء يرى « كومينوس » أن الطفل خلال السنوات الست الأولى من عمره يمكنه تعرف ماهية الماء والأرض والهواء والمطر والثلج والصقيع والحديد والأشجار والحليور والأسماء وغيرها، كما يتعلم أسماء أعضاء الجسم الظاهرة ووظائفها، لهذا يرى « كومنيوس » أن هذه المعرفة من الممكن أن يتعلمها الطفل فى هذه السن، وأن تمهد له الطريق لدراسة العلوم الطبيعية فيما بعد.

٣- مبادئ علم البصريات، إن الطفل عندما يفرق بين النور والظلام، ويفرق بين الألوان الأساسية كالأبيض والأحمر، فإنه يستطيع أن يتعلم مبادئ علم البصريات.

٤- مبادئ علم الفلك، تشمل هذه المبادئ على معرفة الطفل للسماء والشمس والقمر والنجوم، ويستطيع الطفل أن يتعلم مبادئ علم الفلك أيضاً بمشاهدته لشروق الشمس وغروبها.

٥- مبـادئ علـم الجغرافيـا، يتعـرف الطفـل عليهـا عنـدما يـدرك طبيعـة الجبـال والوديـان والسهول والأنهـار، كمـا يتعـرف على القرى والمدن والدول المحيطة بالمكان الذى تربى فيه.

٦- علـم التقـويم، وتتكـون قواعـد هـذا العلـم عنـدما يفهـم الطفـل معنـى الوقـت كالساعة واليوم والأسبوع والشهر والسنة، ومعنى الصيف والشتاء، والمقصود بكلمة أمس وكلمة أول أمس وكلمة يوم.

٧- علم التـاريخ، يعـرف الطفـل هذا العلـم عندما يتذكر ثم يحكى مـا حـدث منذ وقت قريب، وأيضاً عندما يقوم بسرد قصة شخص قام بعمل معين له قيمته فى حياته كطفل.

٨- علـم الحسـاب يستطيع الطفل فـى هـذه المرحلـة (الست سنوات الأولى مـن عمره) أن يتعلم القواعد التى يرسو عليها علم الحساب، فيتعلم أن يفرق بين القليل والكثير، وأن يعد مـن الواحـد إلى العشرة، وأن يعـرف أن الثلاثـة أكبر من الإثنين.

٩- مبادئ الهندسة، يتعلم الطفل مبادئ هذا العلم بأن يدرك معنى كبير، صغير، طويل، قصير، عريض، سميك، رفيع، وأن يعرف الخط والدائرة، كمـا يتعـرف على كيفية قياس الأشياء بالقدم واليـاردة، فإذا أدرك الطفل هذا فقد تعلم مبادئ الهندسة.

١٠- مبـادئ علـم الأستـاتيكا، يمكـن للأطفـال الإلمـام بهـذه المبـادئ عنـدما يـرون الأشـياء تـوزن أو عنـدما يبـدأون فـى تخمـين وزن الشئ تقريبـاً دون ميـزان باستخدام أيديهم للوزن فيفرقون بين الخفيف والثقيل.

١١- علم الميكانيكا، حيث يمكن تدريب الأطفال على هذا العلم بأن يستخدموا أيديهم باستمرار فى نقل الأشياء من مكان إلى آخر، وفى إعادة تنظيمها

أوفى هدم شئ أو بنائه أو فى ربط عقده ثم حلها، وهذه أمور نستهوى الأطفال الصغار، وينبغى أن يشجع الطفل عليها وأن يقدم له كل العون فى سبيل تأديته لها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً لأن هذه الأنشطة ما هى إلا محاولات للتعبير عن عقل نشط فى جهود ميكانيكية حركية.

١٢- تعلم الحوار. يتعلم الطفل العناصر العقلية المؤدية إلى التفكير المنطقى عن طريق الحوار بملاحظة الطريقة التى تسير عليها المناقشات عن طريق السؤال والجواب. فيتعلم أنْ يسأل عن شئ ويجيب عن الأسئلة التى توجه إليه، ومن ثم ينبغى أن يتدرب على توجيه أسئلة معقولة، وأن يجيب عن الأسئلة التى توجه إليه إجابة مباشرة.

١٣- تعلم قواعد اللغة. أول معلم لهذا العلم هى الأم. فالطفل يتعلم لغة الأم، ومن ثم ينبغى أن تعمل الأم على أن تتكلم بعبارات صحيحة وذلك بنطقها للكلمات بمقاطعها وحروفها ونبراتها نطقاً صحيحاً.

١٤- تعلم فن الخطابة والتعبير. عندما يشب الطفل يتعلم فن الخطابة والتعبير بأن يحاكى بعض العبارات التى يسمعها فى محادثات أفراد الأسرة مع الاستعانة ببعض التعبيرات الحركية الملائمة لما يقلده، وأن يتحكم فى نبرات الكلمات التى ينطقها بحيث تتناسب وما يحاكيه.

ويرى « كومنيوس » أن هذه المهارات الكلامية يمكن الحصول عليها بطريقة تلقائية من قبل الطفل. إلا أن التوجيه فى هذه الناحية يفيد الطفل كثيراً وخاصة إذا أخطأ.

١٥- تعلم الشعر. ويتم ذلك بأن يحفظ الطفل مقطوعات شعرية صغيرة عن ظهر قلب، ولاسيما إذا كانت تدور حول موضوعات أخلاقية.

١٦- تعلم مبادئ الاقتصاد، وتبدأ معرفة الطفل بهذا العلم عندما يتعلم أسماء أفراد أسرته، ويعرف أسماء أجزاء المنزل مثل الصالة، المطبخ. يعرف أيضاً الأدوات المنزلية كالمنضدة والسكين.

١٧- تعلم السياسة، إن تعليم الطفل السياسة أمر ليس باليسير فى الست سنوات الأولى من عمره كما يرى « كومنيوس ».

أما « مونتيني » يرى أن محتوى المنهج يجب أن يكون متصلاً بحياة الطفل ومساعدة له على تقويم خلقه وتكوين ضميره وتنمية القدرة على الحكم الصائب لديه وتدريبه على النقد والفهم الصحيح. كما أعطى أهمية خاصة للرحلات والأسفار الخارجية فى منهج الدراسة، لأن من شأن هذه الرحلات إتاحة الفرصة للتلميذ التفاعل مع شعوب العالم، والتعرف على عاداتها وتقاليدها ومعرفة لغاتها.

ولهذا دافع « مونتيني » عن استخدام منهج النشاط، واحتقر فكرة أن مجرد دراسة الكتب تعطى تعليماً ملائماً، وكانت الخبرة بالنسبة إليه أكثر أهمية من الكتب والكلمات، وطالب بالإبقاء على دراسة اللغة اللاتينية كجزء من دراسة الرجل المهذب، وكان يرى أن دراسة اللغات الأوروبية المعاصرة مهمة لأنها مطلوبة فى محادثة الناس فى الوطن وفى الخارج.

يتضح من ذلك أن الفلسفة الواقعية تؤثر على: انتقاء المواد الدراسية وهى تلك المواد التى تعطى أفضل النتائج التربوية، ومن ثم فإنه فى تقرير الصواب والملاءمة لمادة ما فإنه يجب أن يعطى الاهتمام لما يلى:

- التدريب السابق للتلميذ.
- العلاقات الداخلية بين الأجزاء المختلفة للمادة.
- المطالب الاجتماعية للتلميذ الذى يريد أن يتدرب.

وهذا يعنى إعطاء الاهتمام لكل هذه الأوجه والمظاهر وإعداد التلميذ لحياة سعيدة.

طرق التدريس طبقاً للفلسفة الواقعية :

لما كان المنهج فى الفلسفة الواقعية يقوم على الواقع فإن ذلك انعكس على طريقة التدريس، فمن الملاحظ أن طريقة التدريس فى التربية الواقعية تخضع لمبدأ المثير والاستجابة، حيث يحدد الواقعى أهدافه التربوية بالمتيرات، كما تعتمد الطريقة على التكرار والتدعيم.

ومن هنا فإن المدرس الواقعى يقوم بتقسيم موضوع درسه إلى عناصره الأساسية وتحديد المثيرات والاستجابة لكل منها، ومن ثم يقدمها للتلاميذ بطريقة تجعلهم يستجيبون الاستجابة الصحيحة للمثير المحدد، كما يقوم المدرس بتكرار المثير لكى تتبعه الاستجابة الصحيحة.

وإنطلاقاً من ذلك فإن « جون لوك » وضع طريقة لتعليم الأطفال عن طريق اللعب، وكيف يتمرنون مراراً وتكراراً للتفوق فيه، مقترحاً استعمال الكعاب وغيرها من الدمى التى تحفر عليها الأحرف لتعليم الأطفال الأبجدية، ومن الأحرف ينتقلون إلى المقاطع، ثم إلى كتب سهلة وممتعة فى طبعه مصورة إن أمكن، كما يوصى « لوك » باستعمال رسوم للحيوانات مع أسماءها تحت الصورة، أما فيما يتعلق بالكتابة فإن الشئ الأول الواجب تعليمه هو حسن مسك الريشة، ثم الطلب إلى التلميذ أن يكتب أحرف كبيرة سبق رسمها على ورقة بيضاء، والكتابة تقود طبيعياً إلى الرسم حيث يتم التركيز فيها على الأبعاد المختلفة.

كما يرى « لوك » أن أسلوب التدريس يجب أن يكون بضرب الأمثلة أكثر من ذكر القواعد والأحكام، كما يجب أن يلائم الأسلوب صفات التلميذ الذهنية والجسدية والعاطفية.

ويتفق معه « رابليه » إلى حد ما، حيث يرى أن الطريقة التى تتبع فى تعليم الأطفال طريقة حدسية تقوم على المزج بين القراءة والملاحظة المباشرة تعطى فيها الدروس بحضور الأشياء نفسها، كما يهتم بأن يتعلم الطفل عن شوق ورغبة، وأن يثقف وهو يلعب، وأن يدرس عن طريق اللهو والتسلية، كما اهتم بالفنون المسلية، فالتلميذ مرة يطالع الكتب ومرة يلجأ للملاحظة الطبيعة بجميع مظاهرها.

يتضح من ذلك أن « لوك » اهتم بالأساليب التربوية التى تعتمد على تدريب الحواس فى تعليم الأطفال وذلك من أجل تنمية الإدراك الحسى للطفل، والذى اعتبره المحور الأساسى فى التربية، حيث يرى « لوك » أن الإنسان يولد وعقله صفحة بيضاء، وأن تكوين عقله يتم من خلال ما يصل إليه من خلال حواسه، فالحواس تعد من وجهة نظره نوافذ المعرفة ومصادرها، ويجب الاعتماد عليها فى استخلاص الحقائق من خلال الطريقة الاستقرائية على الملاحظة والتجريب ثم الاستنتاج.

كما اهتم « لوك » بتربية الطفل من خلال الرحلات والنزهات، واعتبرها إحدى وسائل التربية فى الطفولة المبكرة، فمن خلال الرحلات يتعرف الطفل على بيئته فتشبع حاجاته وتنمى قدرته على التفكير، هذا بالإضافة إلى شعور الطفل بالسعادة والمتعة.

فـ« جون لوك » يرى أن تعليم الأطفال يجب أن يتم من خلال الأنشطة الرياضية والفنية والرحلات.

أما « مالكاستر» فقد حث على وجوب دراسة الأطفال، واحترام قدراتهم الفطرية، وتحليله السيكولوجى لثلاث قوى طبيعية لدى الأطفال، الذكاء النوعى الذى يدرك، الذاكرة التى تحفظ، الحصافة التى تميز، لم تكن مؤثرة أو فعالة جداً، ولكنها كانت فى الاتجاه الصحيح، ورغبته فى استخدام الميول الطبيعية للتلاميذ وأنشطتهم عن طريق استخدام الألعاب الرياضية، وعن طريق اللعب، وعن طريق التمرينات كانت سليمة من وجهة النظر التربوية.

أمـا « مـونتيني » فقـد اهـتم بـالطرق العلميـة والتجربـة وملاحظـة الأشـياء والأشخاص فى تعليم الطفل، وعلى الطفل أن يسبر غور كل إنسان، وعلينا أن نزوده بالمعارف نحو شئ حوله من بناء أو إنسان أو مكان، فالأشياء فى رأيه فينبغى أن تسبق الألفاظ وفى هذا الصدد يقول يجب أن يختبر المعلم قابلية الفكر الذى عهد به إليه، وعليه أن يصنعه تحت التجربة جاعلاً من تلميذه ذواقاً للأشياء مكتشفاً لها، ونختار إياها من تلقاء ذاته، وأن يفتح الباب أمامه أحياناً، أن يتركه أحياناً أخرى يفتحه بنفسه، إنى أوده لا يبدأ بالموضوع دائماً وأن يحتكر الكلام، بل أن يصغى بينما يتكلم التلميذ.

فهذه دعوة من « مونتيني » أن يقوم الطفل باكتشاف المعلومات، وأن تكون مناسبة له وبناء على رغبته، كما أنه ينادى بأسلوب المناقشة فى التدريس، وألا يقوم المعلم بإلقاء الدرس، وإنما ينبغى إعطاء الفرصة للأطفال لمناقشته والحوار معه.

ولهذا فإن « مونتيني » رفض الطريقة التقليدية المتبعة فى عصره والتى كانت تقوم على القسوة والعقاب، وتركز على الحفظ وحشو الذاكرة بالمعارف الجافة، وإهمال خبرة التلاميذ وأنشطتهم وتعليقهم لما درسوه.

من هنا نادى بطرقة تهتم بالفهم قبل الحفظ وتتيح الفرصة للعمل والتطبيق، وتراعى الفروق بين التلاميذ، وتجنب اللجوء إلى القسوة.

ويرى « بيكون » أن يفضل استخدام الطريقة الاستقرائية والملاحظة المضبوطة للظواهر الموضوعية للعالم الخارجى على أساس كونها المصدر الحقيقى للمعرفة.

ويرى « أرازمس » أن طريقة التدريس يجب أن تتضمن تقديم مختارات منها للتلاميذ حتى تتشبع نفوسهم بما فيها، كما رأى أن تبنى طريقة التدريس

على أساس التشويق والترغيب وليس على أساس العقوبات القاسية، وليس على النظام المدرسى القاسى.

كما يرى أن طرق تربية الطفل يجب أن تبنى على أساس فهم عميق لطبيعته الخيرة، وأن تراعى الفروق الفردية بين الأطفال، فلا تطبق وسائل موحدة على كل التلاميذ وإنما تتاح لهم الفرص التربوية لكى تتكون حواسهم وتنمو نمواً سليماً فى إطار من الحرية.

أما « راتك » فقد سعى وراء طريقة الطبيعة، والنظام الطبيعى إلى أن ينمو العقل فيه، وقد قام بتطوير طريقة التدريس على المبادئ التالية: كل شئ يجرى فى نظامه مجرى الطبيعة، شئ واحد فى المرة الواحدة، ينبغى أن يكون كل شئ كثيراً، كل شئ أولاً باللغة الوطنية، كل شئ دون إجبار، لاشئ يجب أن يتعلم عن طريق الصم أى الحفظ عن ظهر قلب، المواد المتشابهة يجب أن تدرس بنفس الطريقة، الأشياء أولاً وبعد ذلك شرح الأشياء، كل شئ عن طريق الاستقراء أو الاستنتاج والتجريب، ولذلك فإنه يرى أن عمل التربية يمكن أن ينجز فى وقت أقصر بكثير.

والملاحظ أن الفلاسفة الواقعيين وضعوا بعض المبادئ والقواعد لطريقة التدريس، فيرى « كومنيوس » أن أهم القواعد التى تراعى فى طريقة التدريس تتمثل فى:

- وجوب تقديم الشئ إلى الطفل مباشرة لا عن طريق الوصف أو الرمز.
- وجوب الحرص على التطبيق العملى فى الحياة اليومية فى كل ما يعلم.
- وجوب التعلم فى شكل مباشر ومبسط.
- وجوب الإشارة إلى طبيعة ما يعلم بشكله الحقيقى عن طريق الدلالة على أصوله وأسبابه.
- وجوب البدء بشرح المبادئ العامة لما يعلم ثم الانتقال إلى التفاصيل.

- وجوب تعلم أجزاء الشئ بحسب تركيبها ووضعها أو علاقتها ببعضها.
- وجوب عدم ترك الموضوع قبل التأكد من فهم التلميذ له.
- وجوب تعلم الأشياء بالتدرج وعدم تعليمه أكثر من شئ واحد فى الوقت الواحد.
- وجوب التأكد من الفروق الفردية التى توجد بين الأشياء المختلفة حتى تكون معرفة التلميذ عنها واضحة لا غموض فيها.

يتضح من ذلك أن طرق التدريس التى وضعتها الفلسفة الواقعية تتفق إلى حد كبير مع طرق التدريس الحديثة بعد أن أضيف إليها الصبغة العلمية مما جعلها أكثر فائدة.

الثواب والعقاب من منظور الفلسفة الواقعية :

اهتمت الفلسفة الواقعية بقضية الثواب والعقاب، فقد رفضت العقاب حيث انتقد « جون لوك » بشدة أسلوب العقاب البدنى فى التربية، على الرغم من الشدة التى اتبعها فى المبدأ الأخلاقى. ويرى أن الوسيلة الوحيدة للانضباط الذاتى هى تنمية الشعور بالكرامة عند الطفل.

كما يرى أيضاً أهمية البعد فى تخويف الطفل أثناء تربيته حيث إنه لم يتعلم الطاعة وشبح العصا أمام عينية، والبعد عن القسوة الذاتية التى تهدد عقول الأطفال وتحطم روحهم.

وقد وضح « لوك » الآثار الضارة الناتجة عن العقاب البدنى للطفل، وأيضاً الثواب المادى موضحاً الطريق الأمثل فى عقاب الطفل وإثابته، فقد وصف « جون لوك » العقاب البدنى بأنه أسوأ الأساليب للاستخدام فى التربية، وحجته فى ذلك أن العقاب البدنى يعالج الأعراض دون الأسباب الكامنة وراء السلوك السيئ، كما أنه قد يؤدى إلى تعود الطفل على التظاهر والغش، وأيضاً الكذب لتفادى العقاب،

هذا بالإضافة إلى أن تكرار العقاب قد يفقده ما نتوقع منه من نتائج، وبهذه الحجج وغيرها يبين «لوك» مدى عدم استحسانه للعقاب البدنى، وأنه يلجأ إلى العقل كحل أخير فقط عندما تفشل كل السبل الكريمة فى تقديم السلوك السوى، أما بالنسبة للثواب فإن «جون لوك» يعارض الثواب المادى لأنه يؤدى إلى متعة مؤقتة دون أن يكون له آثار أخلاقية، وينبغى أن يكون الثواب من أجل السلوك الحسن بصفة عامة وليس من أجل أعمال معينة وأن يتكون من الحرية فى ممارسة الأعمال المرحة التى تبعث المتعة البريئة فى النفس، ويرى «لوك» أن المدح واللوم من أقوى الحوافز فى تدريب الصغار ويضيف إليها المنافسة والإحساس بالنجاح.

وإنطلاقاً من ذلك فقد أوصى «لوك» الآباء بما يلى: على الآباء أن يمارسوا شخصياً سلطة واعية ومتشددة على أبنائهم منذ الصغر على أن تخفف هذه القسوة كلما كبروا فى السن بالخشية وفرض الاحترام، وينتقد «لوك» التساهل والمسايرة حيال صغار الأولاد، ولا يطيق أن يتوسلوا البكاء سبيلاً إلى الوصول إلى غايتهم، كما يوصى الآباء بإعطاء القدوة ويحذر من تدخل الخدم الذين من خلال تملقهم يهدمون أثر وقوة تأنيبات الأهل ويضعفون سلطتهم.

أما «مونتينى» فقد احتقر العقوبات الجسدية والنظام القاسى الذى يتبع فى المدارس، لهذا يرى إننا بدلاً من أن نحبب الأدب للأطفال لا نزودهم فى الواقع إلا بالذعر والضرب والقسوة، فانزعوا القسوة والقوة، إذ لاشئ فى نظره أقتل للطفل وأخطر على طبيعته السليمة منها.